روايات تيوليب للجيب

(٤) حكاية سرية

عبير محمد قائد

روايات تيوليب، العدد الرابع
حكاية سرية...عبير محمد قائد
الطبعة الأولى يوليو ٢٠١٤
الطبعة الثانية: نوفمبر ٢٠١٤
تصميم الغلاف : م. دعاء عبد اللطيف
تنسيق وتدقيق لغوي : رباب الشهاوي
المدير العام : رباب الشهاوي

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠١٤/١٤٣٩٣

سلسلة تيوليب عربية مائة في المائة ولا تشوبها شبهة الترجمة أو النقل. تصدر بشكل دوري عن دار الفؤاد للنشر والتوزيع.

Alfouad_publishing@hotmail.com





روايات تيوليب للجيب

(٤)

حكاية سرية

عبير محمد قائد
(بيرو)



إلى . . . أمي، جنة الله على الأرض

عهدي الوفي، توأم روحي الغالية

علائي وعليائي، أخي وسندي

صديقاتي، وقودي في الحياة

روزناء الحبيبة، غلاك شيء نادر

وأبي، جعل روحك للجنة تأوى

بيرو

(١)

تأملته بصمت..

أسندت ذقنـها إلى ركبتيها المضمومتين على صدرها ومضت تنظر إليه.. عينيه الواسعتين مغمضتين الآن، تعرف ذلك البريق الذكي الفذ المنبعث منهما تحت حاجبين سوداوين كثين، وشعر أسود قصير بفودين انتهكت سوادهما بضع شعيرات رمادية مبكرة على سنواته الاثنتين والثلاثين.. جبين عريض وضاء وذقن منمنة اكتست بلحية سوداء منمقة.

ابتسمت بحنـان واقتربت تلامس ذقنه وجسر أنفه الطويل ذي الاعوجاج الذي يشير لشقاوة صبــاه..

ـ"امممم"

تململ في رقاده لتداعب أذنيه ضحكتها الرقيقة وهي تهمس

ـ"استيقظ".

ـ"كلا"

اعترض بخفوت وهو يغطي نفسه مجدداً لتعترض هي الأخرى ضاحكة مبعدة عنه غطاءه ـ"لاااااا..هيا انهض".

ليفتح عينيه وتذيبها الرقة الممتزجة بلون جبال مدينتها

الصحراوية، وهو يهمس -"ابقي معي .. ولا تذهبي الآن".
تنهدت وهمست بيأس -"لا تفعل هذا يا (يوسف)".
- "وماذا فعلت؟؟!!"
همس ببراءة وعيناه تمتلئان خبثاً ومكراً، ويده تقبض بشدة على كفها لتقفز من بين يديه وهي تقول بصرامة -" لقد تأخرت ويجدر بي الرحيل على الفور..وأنت كذلك".
تأملها بابتسامة واسعة وهي تنهض مضرجة الوجنتين يتساقط شعرها الكستنائي على ظهرها وهي تختفي خلف باب الحمام بابتسامة خجول، ليتوسد هو الفراش متنهداً وعلى شفتيه ذات الابتسامة.
بعد لحظات وقفت أمام مرآة الحمام تنظر لنفسها.. لقد تأخرت كثيراً هذه المرة، ولن يسامحها أحد أبداً. أخذت نفساً وبدأت حمامها وانتهت منه بسرعة وارتدت ثيابها لتسرع وتجده على ذات الوضعية.
أسرعت نحوه وهزته من كتفيه -" (يوووووسف).. ".
فتح عينيه ليطالع وجهها الرقيق وهي عصبية ونزقة كما يحبها تماماً..

-"هيا (يوسف) سنتأخر".

رفع حاجبيه باستغراب ضاحك -"أتريديننا أن ننزل سوياً"؟

امتقع وجهها وهمست بشحوب -"كلا كلا.. سأنزل أنا أولاً.. ابق أنت".

هز كتفيه ثم أمسك كفها بين يديه الضخمتين -"ابقِ معي".

نظرت له وساقاها تذوبان من نبرة صوته المغرية وهمست -"(يوسف).. تعرف أهمية اجتماع اليوم".

زفر بضيق وترك كفها ونهض يقول باستخفاف مديراً لها ظهره -"لا تُذكريني.. لدي نفس الاجتماع".

ضحكت بخفوت واقتربت تحيط به من الخلف وهي تسند خدها على عضلات ظهره القوية -" ولكنك ستكتسح اجتماعك بلا منازع.. لا أحد يقف أمام (يوسف الجاسر) ويخرج منتصراً".

ابتسم واستدار إليها، ينظر لعينيها اللتين تجلت فيهما رقة الكون وهو يهمس -"ما عداك أنت.. أنت الوحيدة يا ابنة (الناهل) التي تنتصرين علي دائماً".

ضحكت بخجل وابتعدت عنه تقابل المرآة لتنهي ارتداء ثيابها وهي تقول -"انظر إلي وأخبرني من منا المنتصر"؟

عقد حاجبيه واقترب يديرها إليه بحدة فاجأتها -"ماذا تعنين"؟

هزت كتفيها وهمست باندهاش -"لم أعنِ شيئاً".

نظر لها بصرامة وقال بغضب دفين -" اسمعيني جيداً.نحن في هذا الأمر سوياً..أتفهمين؟ لا يوجد بيننا منتصر أو خاسر حبيبتي.. أنا وأنت معاً ولن يفرق بيننا أحد.. إن خسرنا خسرنا معاً وإن ربحنا فنحن أيضا معـاً".

- "أنا..لم أقصد (يوسف) صدقني".

همست متلعثمة، فزفر بضيق وأغلق عينيه. اقتربت هامسة -"سامحني حبيبي".

فتح عينيه وبهما نظرة صبورة جعلتها تبتسم بإشراق وهو يقول -"لا أريد سلبيتك هذه حبيبتي..لا أريدها قط. أريدك كما يراك الجميع، قوية صلبة ذكية ومتفهمة".

-"أنت فقط من يراني هكذا.. الجميع ينظر لي كدمية لوالدي".

قالتها بخفوت وهي تخفض رأسها فرفعه إليه وهمس بابتسامة -"دمية بعقل يوازي عقول ألف رجل..دمية لي وحدي أنا".

ابتسمت ضاحكة وضربته على كتفه بخفة ـ"توقف عن المزاح ودعني أذهب قبل أن يرسلوا فرقة للبحث عني".

ضحك وابتعد عنها يراقبها بصمت.. أكملت ارتداء ثيابها وأسرعت تغادر ملوحة له بسرعة، ليتجهم وجهه الوسيم وتكتمل عقدة حاجبيه..

استدار ينظر للشارع الغارق بنور المساء الوليد يراقب السيارات باهتمام حتى رأى سيارتها تغادر الموقف بسلاسة.. تنهد بعمق وأسند رأسه إلى الزجاج وهو يعرف بأن الموقف تعقد الآن ويجب حسمه.. بأسرع ما يمكن!!

*****

(٢)

زفر (صالح الناهل) بتوتر ونقر على سطح مكتبه بحنق ونظر بعدها في ساعته الذهبية ليصرخ -"أين هما بالضبط يا (حسام)"؟

نظر له محاميه الشاب وقال ببرود -" بصراحة لا أعرف عن الآنسة (هند)، فهي تتأخر للمرة الأولى. أما الآنسة (ياسمين) فهي عادتها سيدي".

-"هذه غلطتي..الاعتماد على الفتاتين. لماذا لم يرزقني ربي بولد أستطيع الاعتماد عليه؟ اذهب الآن وحاول الاتصال بهما".

تركه محاميه وحده ليتأفف بحنق قبل أن يُفتح الباب وتظهر خلفه أولى بناته..(هند)..

-"عذراً أبي .. لقد علقت بزحمة السير".

قالتها بتوتر وأسرعت إلى طاولة الاجتماعات وهي تعدل حجابها وثيابها الساترة بيديها بارتباك، وفي ذات الوقت اقتحم ذلك الإعصار ذو الرائحة الجميلة والمنعشة المكتب.. (ياسمين)..الابنة الثانية..

-"والدي الحبيب".

نظر لها أبوها بغيظ فقالت تحرك شعرها الكستنائي الكث ببراءة -" كنت عند مصففة الشعر".

واقتربت تجلس بجوار شقيقتها التي نظرت لها بلوم فقالت باستخفاف -" لا تعظينني الآن، فأنت نفسك وصلت لتوك حبيبتي".

زمت (هند) شفتيها واستدارت لوالدها الذي قال بحنق -"توقفا عن الشجار وانظرا إلي".

نظرتا له بسرعة فقال بتوتر -" الأمور بغاية السوء. خسرنا مناقصة مشروع البرج السكني لشركة الجاسر مرة أخرى".

سكت الجميع والأب يهدر -" لو كان لي ولد لوقف أمام ذلك الحوت (يوسف الجاسر) وانتزع المناقصات الرابحة من بين أسنانه".

تبادلت (ياسمين) وشقيقتها النظرات الحانقة قبل أن تهتف (ياسمين) -"أبي.. هل نسيت أننا ربحنا منهم مشروع القرية البحرية؟ لماذا لا تذكر لنا هذا"؟

-"لأننا إذا ربحنا مشروعاً واحداً، فهم يربحون مقابله اثنين

إن لم يكن أكثر".

صاح بعنف وهو يخبط الطاولة بقبضته بقوة جعلت ابنتيه تنتفضان و(هند) تهمس له بخفوت -"لا تغضب يا أبي.. ولا تنس ضغط دمك المرتفع".

نظر لها بحنق فاشتعلت عيناها بالتصميم ليزفر بيأس وهو يهمس -"لا أريد سوى الاطمئنان على سير العمل قبل مماتي بنيتي".

نهضت (ياسمين) تعانقه بقوة وهي تهمس -"بعيد الشر يا أبي".

وقبلته بقوة قبل أن تهمس -"ألا يوجد سبيل للتعاون مع تلك الشركة يا أبي؟ فرغم ربحها للكثير من المناقصات ونحن كذلك، إلا أننا معاً نخسر الكثير بسبب هذا التنافس.. لو تعاونا مثلاً...".

-"هل جننت"؟

قاطعها والدها منتفضاً بعنف فتراجعت بجزع وهي تنظر له يكمل -"على جثتي.. أتفهمين يا (ياسمين)؟ هذا الأمر لن يحدث إلا على جثتي".

-"بعيد الشر عنك أبي.. لا تقل هذا أبداً".

أسرعت (هند) تهدئه وهي تنظر ل(ياسمين) بعينين لائمتين فأسرعت (ياسمين) تهمس -" لا تقلق أبي. أنا آسفة ولن أعيدها مجدداً.. لا تقلق".

تنهد والدهما وضمهما معاً إلى صدره وهو يهمس -" عائلة (الجاسر) مليئة بالحقد والدسائس.. والله وحده يعلم ما يضمرونه لنا. كل ما أريده هو أن تكونا قويتين بما يكفي لتقفا أمام ذلك الحوت لأنه أكثر بطشاً من أبيه بكثير".

-"حسناً أبي".

تمتمت إحداهما، فيما تفكر الأخرى بتوتر وقلق شديد بما يمكن أن تكون ردة فعل والدها إذا عرف أنها _ومنذ أقل من ساعة فقط_ كانت بين ذراعي الحوت نفسه!!

*****

(٣)

-"قفوا جميعـاً لتحية البـاشا".

ارتفع الصوت القوي في أذنيه حال ولوجه لغرفة الاجتماعات الواسعة في قمة مبنى يحوي مجموعة شركات والده الثرية لتضيق عيناه بانزعاج حين رأى مجلس الإدارة كله يقف مصفقاً له بحرارة..

"سيـرك"

فكر بحنق وهو ينظر لأبيه الذي قهقه بسرور وهو يتقدم نحوه بكرشه الضخم ويعانقه هاتفاً -"كانت تلك الضربة قوية يا بني.. لابد وأن تلك الصفقة كسرت ظهر ذلك المخادع والد البنات".

غرق في قهقهة قوية جعلت (يوسف) يزفر بضيق ويهمس -" أبي ألم تقل إن الاجتماع لنا وحدنا؟ لماذا أحضرت كل المجلس معك"؟

-" ليشهدوا انتصارك بني".

-"لم تكن حرباً".

زمجر (يوسف) فعاد والده يقهقه -" بلى كانت كذلك.. نحن

تقريباً نسيطر على السوق الآن بني.. وكله بفضل ذكائك".

انزعج (يوسف) وتقدم ليجلس على رأس الطاولة الضخمة التي ضمت ما يقارب الثلاثين فرداً بين مدراء فروع وأعضاء فعالين في الإدارة، في حين تصدر والده الجهة المقابلة وهو يفرك كفيه الضخمين بجشع -" والآن أخبرني ما آخر خططك الجهنمية".

رمقه ولده بعينين حادتين.. والده فقط من يُشعره بأنه ذئب يستعد للانقضاض على حمل وديع، وهذا ما كان يزعجه ويقض مضجعه. نعم هو كان ذئباً.. منذ عودته من أمريكا قبل عامين وابتلاعه السوق كما كان يُقال عنه في الصحف الاقتصادية وتصارعه مع شركات (الناهل) وانتصاره عليهم في أغلب الأوقات لتتصدر شركات (الجاسر) السوق وتحتكر معظمه.. كان ذئباً وهو لا يخجل من الاعتراف بهذا..

حتى التقاها...

تنهد بتوتر واضطربت النظرة الشرسة في عينيه، ليعاود الاهتمام بما يقوله والده..

-" لدينا صفقة ضخمة قادمة بالطريق بني.. توكيل عقاري

حصري لشركات البريطانية، ويجب علينا الحصول عليه مهما كلف الأمر".

عقد (يوسف) حاجبيه ودمدم وهو يطالع التقارير المعروضة على شاشة عرض أمامه -"انه مشروع هائل والدي وقد يبتلع سيولتنا كلها.. إنها مجازفة".

لمعت عينا والده وهتف بقوة وقد سرت همهمة بين الحضور -"ولهذا بالضبط سيكون ربحه هائلاً أيضـاً".

زوى بين حاجبيه وقال بعناد -" لن يكون لدينا سيولة في السوق لفترة طويلة وقد نضطر للاقتراض والدي، وتعرف أنني أكره هذا الأمر".

-" ستحل الأمر (يوسف).. أعرفك ستفعل".

تنهد للحظة ثم رفع عينيه إلى مجلس إدارته وقال بصرامة -"لنفكر جيداً قبل اتخاذ أي خطوة.. لدينا مهلة أسبوع ولن نخسر شيئاً إن فكرنا بالأمر لبعض الوقت، وبعدها سنناقش الأمر مجدداً".

تدخل رجل أشيب يجلس بالقرب من والده وهو شريك مهم لهم -"بني.. إنهم أجانب ويلتزمون بالوقت وعلينا تحضير

مناقصتنا قبل الجميع إذا أردنا الفوز".

-" سيد (علي).. أنا لا أفكر بالفوز حاليــاً".

هدر بقوة لتنصب عليه الأنظار قبل أن يواصل بتوتر -"أنا أفكر بالطريقة التي يجب فيها تدبير أمورنا حتى لا نضطر للتسول قبل انتهاء مشروع كهذا.. أفهمتم"؟!

أومأ الجميع في حين التجأ هو للصمت مفكراً.. بدهاء ثعلب.. وخطة تفتح له الطريق لحل جذري لكل مشكلاته.

*****

(٤)

تنـهدت (هند) بتوتر وهي تراقب شقيقتـها تجلس باسترخاء على إحدى الأرائك تضع ساقاً على الأخرى وتعبث بحاسبها المحمول باهتمام..

لطالما كانت هي وشقيقتـها (ياسمين) مختلفتين، رغم أن الفارق بالعمر بينـهما عام واحد فقط، إلا أن الفارق بين شخصيتيهما كان هائلاً. فبينما كبرت (هند) على الانطواء والسلبية رغم ذكاءها الكبير وجمالـها البسيط، كانت (ياسمين) بجمالـها الصاعق وشخصيتها الجذابة وثقتـها بنفسها مصدر فخر لوالديها على مر السنوات. ولأن والدهما لم يرزق بأبناء صبية، كانت الفتاتان ذراعي والدهما في العمل منذ صباهما. ورغم اهتمامات (ياسمين) الأخرى بالأزياء والسفر، كانت خير معاون لأبيها وشقيقتـها في الشركة، واستطاعتا بأفكارهما الجديدة القفز بشركات والدهما للقمة... حتى عودة (يوسف الجاسر) للبلاد.

-"(ياسمين)، متى تنوين مناقشة خطتنا لمشروع الشركة البريطانيـة"؟

همهمت (ياسمين) وهي غارقة فيما تفعله -" الليلة (هند).. سنناقش الأمر على العشاء".

تنهدت (هند) ومضت تقطع الغرفة جيئة وذهاباً وهي تغمغم -" لن نقدر عليها.. إنها صفقة هائلة".

-" سنفكر بالموضوع.. سنصل لحل أختي لا تقلقي".

تنهدت وجلست على طرف الفراش تنظر لشقيقتها بحسد.. لو كانت تملك جمالها، أو ثقتها بنفسها. تأففت وهي ترمي بنفسها على الفراش لينتثر شعرها الكثيف الناعم حولها كغمامة من كستناء وينتشر عبيره حولها فتغمض عينيها بحسرة وهي تهمس لنفسها -"كيف لي أن أكون مثلها"؟

ثم نهضت بغتة وهي تسمع ضحكة شقيقتها الخافتة لتسألها بحرج -"علام تضحكين"؟

اختفت ضحكة (ياسمين) وهزت كتفيها -"لا شيء مهم".

لمحت (هند) تورد شقيقتها فنهضت إليها مسرعة وهمست بمرح -"أخبريني أتراسلين احدهم"؟

احتقن وجه (ياسمين) وقالت بحدة -" بالطبع لا.. أنا فقط أطالع بعض المقالات والأخبار بشأن صفقتنا".

-" وما المضحك في هذا"؟

همست (هند) وهي تميل من خلف شقيقتها لترى ما تنظر إليه، لتتسع عيناها باندهاش صامت وهي ترى تلك الصورة التي تتربع على رأس الصفحة للصحيفة الإليكترونية..

-"ما بالك ساهمة هكذا؟ ألا يجب أن نقرأ عن أعدائنا"؟

قالتها (ياسمين) باضطراب دفع (هند) لتقول بجمود

-"بالتأكيد.. وهل تعرفين عنه الكثير"؟

ابتلعت (ياسمين) ريقها وهمست -" إنه أعزب".

-"ماذا تعنين"؟

-" لا أعني شيئاً".

قالتها بتوتر وهي تشيح بوجهها عن شقيقتها التي نظرت لها بقلق قبل أن تسألها -" وماذا عرفتِ أيضاً"؟

اعتدلت (ياسمين) وأغلقت حاسبها على صورته وهي تقول بلا اهتمام -" ليس مهماً.. الباقي نعرفه".

نظرت لها (هند) باضطراب والأخرى تهرب بعينيها..

إحداهما تخطط لإنهاء العداء بين العائلتين والتقريب بينهما، والأخرى يرتجف قلبها لسرها المهول..

(٥)

كان الظلام ينتشر بسرعة تلك الليلة.. راقبت السماء التي اسودت واختفى قمرها وتنهدت وهي تمسد كتفها بقوة لتنتفض وهي تشعر بكفيه تقبضان على كتفيها برقة وأنفاسه تداعب جانب عنقها وهو يهمس ـ" أتشعرين بالبـرد"؟

ابتسمت ساهمة وهي تغوص بين ذراعيه ودفء حضنه الغامر. أزاح خصلات من شعرها وهو يكمل بصوت خفيض

ـ" ابقي معي الليلة حبيبتي".

أغمضت عينيها بأسى ـ" تعرف أنـه مستحيل.. لماذا تعذبني هكذا"؟

تنهد قبل أن يسندها إلى صدره وينظرا معاً للسماء الساكنة مع نغمات هادئة من جهاز التسجيل.

ـ" يجب أن أرحل".

أدارها إليه ونظر في عينيها متسائلاً ـ" لماذا تبدين قلقة"؟

تنهدت ـ" إنها صفقة الشركة البريطانية التي تثير جنوننا".

مط شفتيه بلامبالاة ـ"وما شأنكم بها"؟

ثم أضاف بسخرية ـ" لا تقولي إنكم ستقدمون عليها

حبيبتي".

نظرت له بحاجبين معقودين وقالت باندهاش -" ولماذا تظن أننا لن نقدم عليها"؟

تنهد باستخفاف ونهض يستند على حاجز الشرفة وهو يُشعل سيجارة -" إنها تفوق مستواكم بكثير حبيبتي.. ألا تظنين"؟

شعرت بدمها يفور.. مغرمة به.. تعشقه.. ولكن!!

-" (يوسف).. لا أسمح لك بالحديث عن شركة والدي هكذا".

نفث دخان سيجارته لمرة أو اثنتين قبل أن يطفئها بحنق وينظر لها هاتفاً -" وكيف تريدين مني التحدث؟ والدك يدس أنفه في شئون تفوق إمكانياته بكثير فقط لينافس شركتنا نحن.. قولي إنني مخطئ".

تغلب عليها العناد وهتفت بمرارة -" والدي ليس غبياً كما تلمح. نحن ندرك أن الصفقة ضخمة وليس من السهل علينا أن نتمها".

اقترب ممسكاً كتفيها بقوة وقال بصرامة -" لا تقولي على لساني مالم أقله. لم أعن أن والدك غبي أو أي من هذا القبيل.. ما أعنيه هو ألا تسمحي لوالدك بالدخول في هذه

الصفقة.. إنها ضخمة للغاية وقد يتورط".

تخلصت من قبضته وتساءلت -" وماذا عنكم؟ هل ستجازف أنت"؟

توترت نظراته فضحكت بسخرية وسارعت إلى داخل الغرفة وهي تصرخ -"لا تعظني بالامتناع عما تفعله أنت شخصياً (يوسف)".

لحقها هاتفا -" تعرفين أنني افعل هذا لأجلنا.. أحاول تصفية الأعمال التي نتصارع عليها كي أخفض من عداء والدينا".

نظرت له حانقة -" (يوسف) أنت تفعل هذا منذ شهور وكلما شاركنا في صفقة تنافسوننا، وكأنك تقوم بعكس ما تقول.. لقد سئمت العيش هكذا".

اقترب منها هامساً -" وماذا عني؟ متزوج وأعزب بنفس الوقت، وأرى زوجتي بالخفاء. ماذا عن مشاعري أنا"؟

أغمضت عينيها وهمست -" نحن ندور حول الموضوع ذاته.. لا تزال العداوة مستمرة ولا يزال حبنا وزواجنا سراً لا يُقال.. خطأ ارتكبناه....".

-"لااا.."

قاطعها بشراسة وهو يضمها إليه بقوة، محطماً كلماتها اليائسة على صدره -" حُبنا ليس خطئاً.. إنه حقنا".
تأوهت بمرارة ودموعها تغرق وجهها وهي تهمس -" لماذا لا أقول لأحد عنا إذا؟ حتى شقيقتي أُخفي سري عنها. أكاد اختنق..".
-" يجب ألا يخرج السر عنّا.. إذا عرفوا قبل أن نكون مستعدين تماماً..".
تعلقت عيناه بعينيها وهو يكمل بشحوب -" سيأخذونك مني.. وحينها لن أتحمل، وقد أرتكب جريمة".
-" لا (يوسف) لاااا".
شهقت برعب وارتمت بين ذراعيه. ضمها بقوة والفكرة التي راودته قبلها تعاود إلحاحها عليه.. كان قد رفضها في البداية لصعوبتها وخطورتها ولكنها الآن تبدو الحل الوحيد..
قبل قمة رأسها وهمس -"حبيبتي.. لدي خطة، وتحتاج لتعاونك الكامل".
نظرت لعينيه اللامعة بدهاء بقلق، وقلبها يحترق من الداخل.. خوفاً وترقباً..

(٦)

حالمـا دخلت إلى مكتب والدها في الصباح أدركت أنه غاضب..

-"تعالي إلى هنا وفسري لي قبولك حضور تلك الحفلة"؟

تنهدت وهي ترفع نظارتها الداكنة وتهمس مقبلة رأسه -" صباح الخير لك أيضاً حبيبي".

ثم جلست أمامه وابتسمت في وجهه ببشاشة قائلة -" والآن عن الاحتفال..".

-" ما الذي تنوينه يا(ياسمين)؟ لقد اتفقت مع (هند) على إخراج الصفقة البريطانية من حساباتنا".

قالها أبوها بحسم فكشرت بطفولية وهتفت -" (هند) منهزمة ولا تفكر بالمخاطرة".

-"كان ذلك قراري، و(هند) وافقتني لأنها عاقلة وذكية".

-"بل لأنها جبانة يا أبي".

اعترضت بقوة ونهضت تواجهه وهي تسرع بالقول -"بإمكاننا الحصول على الصفقة يا أبي.. بإمكاننا القفز إلى مستوى أخر من الثراء".

أغلق والدها عينيه وهو يدرك عنادها، ولكنه لا يستطيع.. فالمخاطرة كبيرة هذه المرة، و....

-"(ياسمين) معها حق".

تعالى الصوت الرقيق من الباب فالتفت لابنته الأخرى التي تقدمت وهي تقول بثقة -" أنا آسفة يا أبي، فقد غيرت رأيي.. نستطيع الحصول على الصفقة لو خططنا لها بروية".

قفزت (ياسمين) وصفقت بيديها بجذل وهي تصرخ -"رائعة يا(هند) .. راااائع".

نقل والدهما بصره بينهما باستسلام وهو يرى الملامح العازمة المطلة من وجهيهما، قبل أن يرفع كتفيه فتنطلق صرخات (ياسمين) الصاخبة وتتسع ابتسامة (هند) الهادئة... بعدها بوقت قصير...

-" لماذا غيرت رأيك"؟

همست (ياسمين) ل(هند) الواقفة أمام شرفة مكتبها تطالع المدينة الصاخبة، فابتسمت الأخرى قائلة -" نحن بحاجة لهذه الصفقة يا(ياسمين).. ألم تلاحظي تراجع أسهمنا في الفترة الأخيرة"؟

-" بلى ولكنك كنت معارضة لها منذ البداية".

عقدت (هند) حاجبيها وهمست بغموض -" ربما لأني اكتشفت أن الحياة لا تنجح سوى بالمغامرة..ألا تقولين أنت هذا دائماً"؟

اتسعت ابتسامة (ياسمين) وتألق النصر في عينيها -"بالطبع، والآن أخبريني ما هي خطتك بالضبط"؟

لاح التوتر في ملامح (هند) -"سأخبرك غداً، بعد حفلة الليلة.. سأكون قد فكرت ملياً".

مطت (ياسمين) شفتيها قبل أن تنظر لساعتها وتقفز -"رباه لقد تأخر الوقت. يجب أن أذهب إلى مصفف الشعر".

نظرت لها (هند) باستخفاف وهي تركض للخارج، بينما يخفق قلبها بقوة مما ستؤول إليه أحداث الليـلة...

*****

(٧)

توقف مع والـده في مدخل صالة الاحتفالات في القنصلية البريطانية، حيث سيتم الإعلان عن الصفقة وتفاصيلها للصحافة، وبعد عدة أيام سيتم استقبال المناقصات من الشركات الكبرى ومنـها شركته..

جالت عيناه بسرعة في الحضور باحثاً عنها، لتتألق عيناه بنظرة دافئة وهو يرى جمالها الكامل، بثوب طويل بلون أحمر سيطر على أنفاسه وكاد يودي به. وبلحظة كاد ينسى كل شيء ويركض ليحتضنها بعيداً عن عيون الناس. تنهد خفية عن الجميع وهو يستعيد الباقي من رشده، ليرافق والده الذي تحرك بخفة تناقض حجمه الضخم بين هذا وذلك، بينما لا تفارق عيناه تلك الزاوية التي احتلتها حبيبته بلا منازع..

وفي الزاوية، توترت (ياسمين) وهي تهمس -"كيف ثوبي"؟

نظرت لها (هند) بحنان -" انه رائع.. لم أرك ترتدين مثله من قبل. متى أحضرته"؟

-"اليوم بعد خروجي من عند المصفف. رأيته في نافذة العرض وأعجبني.. هل يناسبني اللون الأحمر"؟

قالتها بتوتر فضحكت (هند) -" انه رائع عليك.. لماذا لم تتصلي بي، لم أكن لأرتدي ثوبي هذا".

اتسعت عينا (ياسمين) -"لماذا؟ انه رائع عليك".

تخضبت (هند) خجلاً وهمست -"ولكنه أحمر هو الآخر. نبدو مضحكتين وكأننا عدنا لأيام المدرسة الابتدائية".

قهقهت (ياسمين) بشدة لدرجة تلفت بعض الأنظار، قبل أن يتخضب وجهها هي الأخرى -"يا الهي.. إنهم ينظرون إلينا".

غمغمت بخجل مما جعل (هند) تكتم ضحكتها وهي ترى أختها تحمر خجلاً ربما للمرة الأولى..

شعرتا حينها بمن يحيط كتفيهما معاً. التفتتا لتجدا والدهما يقول بتوتر -" الحوت ووالده هنا أيضاً".

التفتتا نحو الإشارة الخفيفة من رأسه لتجدا (يوسف) يقف بكامل أناقته وهيبته إلى جوار والده الذي كان يضحك بلا توقف لحديث رجل قصير أصلع. خفق قلب أحداهما بعنف، وشعرت بتلك الكهرباء العالية التي شعرت بها في المرة الأولى للقائهما. شعرت بكفيها تبردان ونقاط العرق تتألق على جبينها وهي تحاول الهرب من نظرته الخاطفة التي

أطبقت على عينيها للحظة _رغم قصرها_ كانت لها أطول من ليلة كاملة..

-" ماذا بك أختي"؟

-" لا شيء".

ردت بشحوب وهي تستدير لتلتقي نظرات أختها المتسائلة فابتسمت بضعف وهمست -"رافقيني لحمام السيدات".

-"حسناً".

وافقت بلا تردد، وترافقتا إلى الحمام..

وقفت (هند) أمام المرآة تعدل من حجابها حين رأت (ياسمين) تعبث بهاتفها للحظات ثم تسرع -" سألقاك بالداخل (هند).. لدي اتصال ضروري".

أومأت لها ثم تأملت نفسها جيداً قبل أن تسرع هي الأخرى بالخروج..

......

وقف في الشرفة المطلة على الحديقة للحظات يتأمل الليل الساكن بعيداً عن صخب الاحتفال حين سمع الصوت الخافت

-" (يوسف)".

التفت بلهفة ويتنهد بارتياح متنشقاً شذا عطرها الفواح هامساً ـ"وأخيراً جئت.. كدت أُجن حبيبتي".

نظرت له بقلق وهمست ـ" يجب علينا العودة الآن.. لو رآنا أحد.. والدي..شقيقتي".

أحاط وجهها بين كفيه وهمس بشوق ـ"لا يهمني أحد.. كدت أفقد صبري وأنا أراك تقفين أمامي بكل هذا الجمال".

توردت وجنتاها وهمست ـ" هل أعجبتك"؟

نظر لها بهيام قبل أن يبلل شفتيه بطرف لسانه ـ"أنت فاتنة يا صغيرتي".

ازداد احمرار وجنتيها وضحكت باضطراب وهي تلكزه بكتفه بخفة ـ"ابتعد عني الآن قبل أن أصرخ وأجمع كل من في الحفل وأتهمك بالتحرش بي".

قهقه بقوة جعلتها تتلفت حولها برعب قبل أن يحيط خصرها بذراعه ويقول بحماس ـ" هيا افعلي.. سأتحمل أي عقاب، وبالنهاية سأتطوع للزواج بك رسمياً لإصلاح ما كسرته".

ضحكت مخنوقة وهي تتملص من بين ذراعيه وتهمس ـ"سأذهب الآن.. أنت بغير حالتك الطبيعية اليوم. أخبرني متى

ستبدأ بخطتك العبقرية المجنونة"؟

ابتسم بدهاء وهمس -"في الحــال.. لا تقلقي".

تنهدت ونظرت إليه لمرة أخيرة قبل أن تعود للانضمام للحفل، فتنهد هو الأخر ونظر لها سراً للحظات قبل أن يأخذ نفساً عميقاً ويتجه نحو أبيه الواقف بعيداً في حديث مستمر مع احد الملحقين بالقنصلية..

-" أريدك للحظة يا والدي في أمر هام".

قالها بتوتر فنظر له والده بقلق قبل أن يعتذر من محدثه ويسرع معه لركن قصي..

نظر لوالده الذي بقي يحدق به بترقب بانتظار ما سيقوله -"والدي إننا بصدد مشكلة عويصة. لن نستطيع أبداً التقدم للصفقة البريطانية".

تلفت والده حوله بذعر وهمس بحدة -"اخفض صوتك.. هل جننت؟ كيف تقول هذا الآن؟ إننا بصدد مفاجأة الجميع بالتقدم للعرض قبل أي أحد".

-"مستحيل أبي".

قالها بعناد وتصميم وهو يميل إلى أبيه -"ليس الآن .. نحن

غير مستعدين بتاتاً، وقد نفضح أنفسنـــا بطريقة لا يمكن إصلاحها".

تعرق جبين (الجاسر) فأخرج منديله يجففه بتوتر وهو يهمس ـ" ماذا سنفعل؟ لقد وعدتني بالتصرف. لقد وعدتني بالتصرف يا(يوسف)".

تنهد (يوسف) بحذق وهو يمثل انعدام الحيلة وهز كتفيه، لتتسع عينا والده بذعر حقيقي فأسرع يقول ـ" الحل الوحيــد هو التكتل يا والدي".

عقد والده حاجبيه فأسرع يوضح ـ" إذا استطعنـا إيجاد شريك، حينها ربما نخرج من مأزقنا".

ـ" من؟ من يمكن أن يشاركنا"؟

تعالت حينها ضحكات نسائية مرحة جعلتهما يلتفتان معاً للجهة الأخرى.. تأمل (يوسف) كيف التف بعض الشباب من رجال الأعمال ومساعديهم حول زوجته السرية وشقيقتها بطريقة أثارت كل الدم الحار في عروقه.. أراد الصراخ والاعتراض ولم يقدر. كان يكويه مرأى الجميع حولها. حاول كبت مشاعره بكل الطرق بلا فائدة، وظهرت عصبيته في

ارتجافة يده الممسكة بفنجان من القهوة، وفي نظرة عينيه الحارقة التي حاول مداراتها عن كل من حوله عداها ومن يحيط بها.
يشعر بذاته خسيسة وهو يعجز على الدفاع عن امرأته من كل أولئك اللذين يحيطونها.
-" انظر لابنتي (الناهل)".
قالها والده بتوتر وأضاف غير منتبه لحالة ولده العصبية -" انظر إليهن يستقطبن الأنظار كلها، حتى القنصل مهتم بتلك الجميلة منهما وكان يحدثها منذ قليل".
خفق قلبه بعنف وتعذر عليه السيطرة على عينيه اللتان التهمتا تفاصيل المشهد أمامه بحنق وغيظ ورغبة محرقة مزقته من العمق للعمق بلا رحمة..
-" سمعت أنهما من تديران العمل فعلياً".
حاول السيطرة على أنفاسه الثائرة وغضبه العنيف وهو يزمجر من بين شفتين مطبقتين متوعداً إياها في سره -" بالفعل كل تحرياتنا تثبت أن الفتاتين هما سر نجاح والدهما، وهما المتحكمتين بكل ما يحدث هناك".

زفر والده بحنق والتفت لابنه هامسا -" حسناً بني. سنؤجل الإعلان حتى نناقش المسألة في اجتماع الغد".

أومأ (يوسف) برأسه بينما عاد والده للنظر للفتاتين بحقد وهو يتجاهلهما بكل قوة..

*****

(٨)

في الصباح التـالي كان الاجتماع حماسياً، وتصدر والد (يوسف) الطاولة وصوته يجلجل ـ" مستحيل أن نجد من يقبل شراكتنا بهكذا صفقة.. معظم الشركات تخلت عنها لحجمها الضخم".

ـ" ماعدا شركات (النـاهل).

قالها (يوسف) بهدوء، فالتفت الكل إليه وهو يواصل ببرود ـ" (النـاهل) هو المنـافس الوحيد لنا من البلاد، وبصراحة إذا دخلنا ضده في الصفقة، فسنخسر معاً".

اتسعت عينا والده بغضب ـ" أتريدنـي أن أشارك (نـاهل)؟! ألم تجد سواه؟ مستحيل".

تنهد (يوسف) بضجر ونـهض من مكانه وهو يصيح ـ" انه الحل الوحيد. لقد طالت هذه العداوة أكثر مما ينبغي أبي. نحن لا نكسب بهذه الطريقة، نحن فقط نخسر ما يمكن أن نكسبه بسهولـة".

ـ"قلت لك مستحيل.. (النـاهل) عدوي منذ سنوات".

زمجر والده بقوة فاتجه إليه ومال نحوه قائلاً بصرامة ـ"نحن

بحاجة إليه".

استشاط والده حنقاً وكاد يعترض لولا أن تعالى صوت آخر

-"ما يقوله (يوسف) صحيح".

التفتا نحو أحد أعضاء مجلس الإدارة الذي قال مبتسماً بهدوء

-"لقد كنت و(الناهل) شركاء منذ ما يقارب الثلاثين عاماً يا (نصر).. لماذا لا تحاولان مرة أخرى"؟

-"كنتما شريكين"؟

تساءل (يوسف) بدهشة، فزفر والده بحنق وقال مشوحاً بيده

-" انه تاريخ قديم، ولن يتكرر.. أبـداً".

أصر فتألقت عينا (يوسف) بتصميم بدوره -" بل يجب أن يعود، إذا أردت أن نكمل المشوار الجيد الذي نسيره في شركتنا أبي".

تنهد (نصر) بتوتر وأشاح عن ولده.. لا يزال يتذكر السنوات الخمس التي قضاها شريكاً ل(الناهل).. كانت الذروة لانطلاقه ولكن... الخلاف وما حدث بعدها من عداوة غذتها السنوات بالحقد تجثم على قلبه، وتمنعه من العيش في احتمالات العودة لتلك الفترة..

-" (الناهل) لن يوافق.. مطلقاً".
قالها بتوتر، فارتسمت ابتسامة على شفتي (يوسف) وهو يشعر بقرب خضوع والده له وقال -"سأتكفل بإقناعه".
-"هل ستذهب إليه بقدميك"؟
قالها والده باستنكار فضحك (يوسف) -"إنه لن يأكلني".
تنهد والده، وصمت للحظات قبل أن يرفع كفيه وهتف محذراً
-" اعلم فقط أنني لست راضياً عن هذا الأمر يا(يوسف)".
اتسعت ابتسامة (يوسف) وهتف -" صدقني يا أبي.. سيكون الأمر للأفضل لنا.. صدقنــي".
قالها وشعر براحة جزئية، فالفصل الأول من مسرحيته مر بسلام، وبقي الجزء الأخر.. الأصعب..!!!

***

(٩)

-"(يوسف الجاسر).. يريد مقابلتك سيد (صالح)".

تعالى صوت السكرتيرة عبر جهاز الاتصال الداخلي لينتفض قلبها برعب، وتنظر لأبيها بعيني حمل يواجه لحظة ذبحه، في حين عقد والدها حاجبيه وقال بعصبية -" ما الذي يريده هذا الرجل مني"؟

نظر لابنتيه بتوتر فبادرته (ياسمين) -" لم لا تقابله وتُرضي فضولنا يا أبي"؟

-" نعم أبي.. قابله".

أضافت (هند) وهي ترشف قهوتها ببطء، ليتنهد والدهما ويأمر مساعدته بإدخال حوت الأعمال إليه.

توترت يداها وهي تنهض لتقف مجاورة لشقيقتها خلف أبيهما في انتظاره، مفكرة كيف لم يُخبرها بقدومه وهي التي قضت طيلة الليلة الماضية تنتظر اتصالاً منه دون فائدة.

بعد لحظات سمعوا الطرقات الحازمة، ليُقبل هو بأناقته التي أطارت بضع من دقات قلبها وجعلتها تأخذ نفساً قصيرا وتأسره بين طيات ضلوعها لتحرره بعذوبة نبرة صوته

الخشنة المحببة وهو يُلقي السلام عليهم....

-"وعليكم".

قالها (الناهل) بغلظة، فيما تمتمت الشقيقتان السلام بخفوت.. ابتسم بسخرية وهو يقترب ليمد يده مصافحاً عدو والده اللدود وشريكه القديم -" (يوسف نصر الجاسر).. تعرفني بالتأكيد".

نظر (الناهل) ليده الممدودة قبل أن يتجاهلها متعمداً وشبك كفيه أمام صدره وهو يقول -" ما الذي جاء بك إلينا"؟

احمر وجه (يوسف) رغماً عنه وأعاد يده إلى جواره، قبل أن يقرر أن الاحترام المبالغ فيه لن ينفع. لذا فك أزرار معطفه وجلس دون انتظار دعوة وهو يكتم غيظه بداخله. عقد ساقيه وثبت أنظاره في عيني الرجل أمامه قائلاً بصرامة -"اسمعني جيداً سيد (ناهل). لم آت إلى هنا إلا بدافع المصلحة المشتركة بيننا، لذا من الأفضل لك أن تستمع لما سأقوله جيداً".

رفع (الناهل) حاجبه وقال بغرور -" لا يوجد ما يجمعني بك أو بأبيك، فلم لا تختصر ما ستقوله بكلمة وداع وتغادرنا"؟

عقد (يوسف) حاجبيه ومال قليلاً إلى الأمام وهو يقول بإصرار ـ" بل هناك شيء مهم جداً يجمعنا".

زوى (الناهل) بين حاجبيه ليواصل (يوسف) بصوت بارد ـ"المشروع البريطاني".

ارتجف فم (الناهل) للحظة قبل أن يهمس ـ" ماذا عنه"؟

ـ"أنت تريده، وأنا أريده".

ـ"والمطلوب بالظبط"؟

عاد (يوسف) يستند بظهره لكرسيه وقد رأى بعض اللين في عيني (الناهل) ـ"لا توجد مطالب يا سيد (ناهل).. هناك شراكة".

عقد (الناهل) حاجبيه بشدة وقبض على أصابع يديه بقوة وهو يصرخ ـ" شراكة؟! معكم أنتم"؟

وقبل أن يتفوه (يوسف) بحرف ليهدئه كان ينتفض من على كرسيه ويصرخ مضيفاً بغضب ـ"مستحيل".

اتسعت عينا (يوسف) وهب واقفاً هو الأخر ـ" لم لا تجلس وتسمعني قبل القيام بأي حماقة ستندم عليها".

ـ"أبي اهدأ".

قالتها (ياسمين) بقلق وهي تمسك يد والدها وتعيده إلى مقعده وهو يرغي ويزبد، في حين قالت (هند) بتوتر -"عرضك هذا غير معقول. كيف تطلب شراكتنا ونحن متنافسين في السوق منذ سنوات"؟

نظر لها (يوسف) وهتف بحدة -"حان الوقت للانتهاء من هذا الصراع الذي لم يُكلفنا سوى الكثير ولم نجن منه سوى الخسارة. العالم كله يتجه للتكتلات الاقتصادية ونحن لازلنا نرزح تحت حقد الماضي الآنف.. إلى متى"؟

ثم نظر ل(الناهل) بحزم -"سأقول لك ما قلته لوالدي سيد (ناهل). العداء بيننا لن يوصلنا سوى للخسارة، ولن يحصل أحدنا على المشروع البريطاني إلا إذا اتحدنا معاً. أتفهمني جيداً"؟

نقل (الناهل) بصره إلى ابنتيه، ليواجه القلق والترقب، فعاد ينظر للفتى الذي دخل عليه بكل هيمنته وقوته يطالبه بأن يشاركه.. لا يستطيع أن ينكر أن ما يقوله صحيح مائة بالمائة، ولكنه لا يستطيع أن يعود للماضي بيديه ويشارك ذلك الوغد. أغمض عينيه وهو يستمع لابنته (ياسمين)

-"أعتقد أننا جميعاً بحاجة إلى القهوة لنتناقش بهدوء".
أضافت (هند) بحزم -"نعم، سنتناول القهوة وتخبرنا عرضك بالضبط، سيد (يوسف)".
لتكمل (ياسمين) -"وبعدها سنفكر به ملياً ونطلعك على قرارنا".
نقل (يوسف) نظره بينهما وهو يتجاهل زوجته بقوة ويتجاهل رغبته في الصراخ بأبيها أنه لم يأتِ هنا ولم يُصغر نفسه له إلا من أجلها هي، ولتذهب صفقات الكون كله للجحيم. لكنه تمالك نفسه بصعوبة وعاد يسترخي في مقعده قائلاً بهدوء -"القهوة فكرة جيدة".
تنهدت (ياسمين)، في حين توجهت (هند) للهاتف الداخلي لتطلب القهوة للجميع، بينما ظل والدهما متجهم الوجه رافضاً المبدأ من الأساس، و(يوسف) ترتسم على شفتيه ابتسامة متلاعبة. وصلت القهوة وقدمتها (هند)، و(ياسمين) تناظرها بغرابة. وبعد لحظات كانت (ياسمين) من بدأت -"والآن سيد (يوسف) اخبرنا عرضك بوضوح".
نظر لها بغموض وبدأ يوضح نقاط الشراكة التي يعرضها

والتي تتركز في الصفقة البريطانية كبداية فقط ولاشيء غيرها. وبدأ بعرض أفكاره بطريقة شحذت اهتمام الجميع، وبالذات هي. كانت تنظر له بذهول ممزوج بالفخر.. هو زوجها.. حبيبها.. كم ترغب بالصراخ بهذا في وجه الجميع.. ولكنها لا تجرؤ..

-"بإمكاننا التفكير بالأمر، ولكن ألن يكون نفاقاً أن نعمل معاً بعد كل هذا العداء؟ ألن يثير هذا التساؤلات"؟

قالتها (هند) بحذر فهز كتفيه تحت سترته الأنيقة وهو يعلق

-"مجال الأعمال لا يحمل كلمات كالنفاق. نحن نمد جسورنا حيث تلوح لنا منابر الربح فقط".

تبادلت وشقيقتها النظرات قبل أن ترسو نظراتهما عند أبيهما الصامت، والذي كان يحدق في عيني (يوسف) بهدوء حذر، ولوهلة شعر بأنه يُخفي شيئاً. هناك شيء ما في هاتين العينين اللتين تبرقان بحزم وقوة.. انه رجل محنك، عاصر السوق منذ نعومة أظافره، ومجيء هذا الفتى إليه بكل تلك القوة والوقاحة يُخفي شيئا، وشيئاً مهماً أيضاً..

-"أهـذا ما جئت لأجله إذا"؟

انتفض قلب (يوسف) بين ضلوعـه. أراد للحظة أن يخطف نظرة سريعة إليها كي يستمد منها بعض القوة، ولكنه لم يستطع. فوالدها كان يحتجز نظرته ولا يُفلتها..

-"بالتأكيـد.. وماذا تظن"؟

عقد (الناهل) حاجبيه ونظر لابنتيه بصمت، قبل أن يقول -"بإمكانك الانصراف الآن. سأفكر بالأمر، ونبلغك بقرارنا".

احمر وجهه من الإهانة المقصودة، وتمالك أعصابه بصعوبة وهو ينهض مديراً عينيه فيهم ويهمس بغيظ -"سأنتظر".

غادر صافعاً الباب خلفه بقوة رغماً عنه لتنتفض الاختان ويشتم والدهما الفتى المتهور، صارخاً -"لن أوافق قط.. مستحيل".

-"أبي علينا التفكير بهدوء".

همست (ياسمين) وهي تجلس إلى جوار أبيها وتنظر له بقوة فنهرها -"أنت لا تعرفين عمن تتكلمين يا(ياسمين). هذا الرجل سر أبيه، إنه يُخفي شيئاً".

-" ماذا تعني أبي"؟

تساءلت (هند) بفضول، فرد بعصبية -"لا أعـرف، ولكنه

يُخفي أمراً".

تبادلت الشقيقتان النظرات المتوترة وتنهدتا. أحداهما تدرك برعب أن والدها قد شك ب(يوسف)، والأخرى تحاول ترتيب الأحداث برأسها، وعقلها يدور في حيرة لا تدرك سببها.. ولكنها تزعجها وبقوة...

*****

(١٠)

كان يدور في ردهة منزله كليث غاضب.. مواجهته مع (الناهل) أثارت غضبه لأقصى حد.. ذلك الرجل حقود إلى درجة كبيرة وذكي لدرجة المكر.. لم يُعجبه قط..

تنهد بحنق ومسد رأسه بكلتا يديه قبل أن يلتقط هاتفه ويحدثها بخشونة -"إلى متى تنوين التأخر"؟

همست له بخفوت -"أنا قادمة يا(يوسف).. لا تنفعل".

أغمض عينيه بغضب يشعر أنه يفتك به. لم يعتد هذا الضعف، وهو كان ضعيفاً أمام والدها. لو كان أي شخص أخر لحطمه بيديه..

-"لا تتأخري .. أحتاج إليك الآن".

تنهدت بنفاذ صبر.. تعي غضبه وتتفهمه ولكنه يُضيق الخناق عليها. همست تهدئ من روعه قبل أن تغلق هاتفها وتستدير لتشهق وهي ترى شقيقتها تقف لها على باب غرفتها مبتسمة بهدوء...

-" إلى أين تذهبين"؟

-"السوق.. وأنت"؟

-" نادي البولنج.. أنسيت"؟!

تنهدت (ياسمين) وقالت تحيط شقيقتها بذراعها وتغادران سوياً -"كلا لم أنس، فقط ظننتك ستبقين لتُحضري أوراق الصفقة مع أبي".

ابتسمت (هند) -"والدي يُصر على مراجعة الأوراق بنفسه.. أظنها مسألة تتعلق بالثقة بالنفس.. لا يزال متوتراً بعد لقاءه ب(يوسف) اليوم. بالمناسبة أين أمي"؟

ابتسمت (ياسمين) بسخرية وهي تهز كتفيها -" كالعادة .. في إحدى النوادي او تحضر احتفالاً ما".

مطت (هند) شفتيها، فمنذ سنوات تركت أمهما لهما الحرية لفعل ما تريدان وانغمست هي بعالمها الاجتماعي ونسيت وجودهما تقريباً..

توترت نظرات (ياسمين) ووقفت قبالة شقيقتها هامسة -"أعتقد أنه على حق".

عقدت (هند) حاجبيها وسألتها بتوتر -"من تقصدين"؟

-"(يوسف الجاسر)".

أشاحت (هند) ولم تجب في حين استمرت (ياسمين) -" كل ما

قاله صواب، وأنا سأقف بجانبه في هذا الرأي".
عبثت (هند) بذراع حقيبتها وهي تغمغم -" والدي لن يعجبه هذا".
هزت (ياسمين) كتفيها وقالت بلامبالاة -"علينا أن ننظر للمستقبل.. ماذا سيكون موقفك أنت"؟
مطت شفتيها ثم قالت -"أعتقد أنني سأقف معك أيضاً".
ابتسمت (ياسمين) بمكر -" ممتاز.. هيا الآن وإلا سنتأخر".
ابتسمت (هند) ورافقتها إلى المرأب، حيث قادت كل منهما سيارتها في اتجاه..
وصلت إلى المبنى الذي يضم شقتهما.. تشعر بالسوء لاضطرارها الكذب على شقيقتها ولكن ما العمل؟ لا يوجد حل أخر حتى تنتهي خطة (يوسف) بشكل مناسب للجميع.
تأملت نفسها في المصعد تتأكد من جمالها لتبتسم وقلبها يخفق بقوة وهي تدير مفتاح الشقة في القفل وتدلف إلى الداخل مسرعة. كانت الشقة باردة بفعل التكييف، وكان هو هناك يقف أمام النافذة.. بانتظارها. اتسعت ابتسامتها لمنظره الكامل، واقتربت منه. كان يزم شفتيه ويعقد حاجبيه ويبدو

مجرماً، ضحكت رغماً عنها فقال بخشونة ـ"مضحك.. أليس كذلك"؟!

تعالت ضحكتها رغماً عنها وهي تهمس ـ" كنت تبدو كتلميذ غر".

تصاعد غضبه حتى كاد يُعميه. لم يشأ أن يظهر أمامها هكذا وهو يكاد يتوسل أبيها. كرامته وقوته تأبى عليه ذلك. اقترب منها وأحاط ذراعها بقوة وهو يصيح ـ"ماذا تعنين"؟

تأوهت بدلال وقد أثارتها النظرة الشرسة في عينيه لتدفعه نحو الغضب أكثر وأكثر ـ"(يوسف).. أنت تؤلمني".

لم يُلق بالاً لدلالها وهو يُدرك محاولاتها لإثارة غضبه ـ" لم أقف في حياتي كما فعلت اليوم.. لم يجرؤ أحد أبداً على معاملتي كما فعل والدك اليوم.. وتضحكين"؟

ارتسم الكبرياء على وجهها وهمست تقترب منه ـ" بالطبع لم تفعل من قبل.. انه والدي، وليس أي أحد".

زمجر برعونة وهزها بقوة متمتاً بخشونة ـ" أعجبك أن يُعاملني والدك كالأطفال إذاً"؟

اجتاحتها حرارة غير مسبوقة وهي تتخلص منه بقوة

وتهمس ـ" انه والدي، بالطبع يُعجبني. من سيأخذ حقي منك أن أحزنتني يوماً سواه"؟

رفع حاجبيه بتعجب فضحكت مسرورة وقربت وجهها إليه هامسة ـ" لم لا تنس غضبك من والدي لبعض الوقت"؟

ثم اقتربت تلامس طرف أنفه الروماني بأصبعها وهي تقول ـ" انس كل شيء.. فنحن معاً أخيراً".

أغمض عينيه باستسلام لحبها الذي كان فعلاً بلسماً لغضبه وتوتره، ثم فتحهما يقابل عينيها الواسعتين بنظرة شغوفة هامساً ـ"أحبك".

أغمضت عينيها باستمتاع وهي تغرق في بحر حبه العاصف. كانت قوته إدمان بالنسبة لها.. منذ التقته .. منذ عرفته وهو ليس كسواه أبداً.

بعد حين كان (يوسف) يلامس خصلات شعرها بشرود.. نظرت في عينيه ـ" ماذا بك حبيبي"؟

ـ" أشعر بالقلق".

قالها بوضوح فابتسمت ـ" لا تقلق.. لا يليق بك القلق".

ابتسم باستهزاء وهمس ـ"لو رفض والدك لن استطيع حل

مشكلتنا أبداً".

-" لـن يرفض.. أنا وأختي نقف إلى جانبك".

-"أختك تكرهني".

-" كلا، هي لا تفعل".

صاحت باستنكار، فضحك بانفعال -"بلى تكرهني.. أشعر بهذا منذ رأيتها هذا الصباح وهي ترمقني بطريقة غريبة، وكأنها تريد قلع رأسي عن كتفي".

-" بعيد الشر".

صرخت فزعة فابتسم ماكراً لتندفع -" أختي لا تكرهك، بالعكس هي معك بالنسبة للشراكة وستساندني مع أبي".

مط شفتيه بغير اقتناع فاقتربت هامسة -"لماذا تتحامل على عائلتي هكذا"؟

-" أنا لا أفعل".

أنكر ببرود فاعترضت -"بلى تفعل.. أراه في عينيك كلما تحدثنا عن والدي وشقيقتي".

تنهد مبعداً إياها عنه.. تأملته بصمت مقهور، وغصة تمتلئ بها روحها. نهضت بعد تردد قصير. كان يجلس على أحد

المقاعد عيناه تغرقان في المدينة المظلمة وبين شفتيه سيجارة مشتعلة. شعرت بحرقة تلتهب في معدتها، فقد كان منظره موجعاً. لا تعرف ما تفعله لتنال رضاه، وفي الوقت ذاته هي ممزقة بينه وبين أسرتها.. السر بينهما يحرقها كما تلك السيجارة التي تحرق صدره، بلا رحمة.

تشعر بالذنب لأنها تعيش حياتها بالخفاء، زوجته ولا تقوى على مواجهة احد بهذا الأمر.. تعرف ما ارتكباه من خطأ جسيم ولا تقدر على تحمل عقباته السوداء..

نفث دخانه بقوة، ودعك عينيه الملتهبتين واستنشق الهواء الملوث بالدخان باستمتاع.. يستمتع بذلك الحريق في أعماقه، يؤذيه ولكنه لذيذ.. شعر بها تقترب فالتفت ليجدها واقفة هناك على الباب ينسدل شعرها الكستنائي مبعثراً حتى أطراف خصرها. تمعن في ملامحها البائسة وشعر بها تطعنه في أعماقه. لم يقصد أن يؤذها.. أبداً لم يفعل.. حمامته الناعمة. تنشق دخان سيجارته للحظة قبل أن يُطفئها بقوة على المنفضة الكريستالية ثم التفت إليها ماداً ذراعه نحوها لتركض إليه وتغوص بين ذراعيه وهي تشهق بالبكاء هامسة

-" لقد تعبت يا(يوسف).. هذا الجو الخانق يقتلني.. هذه الأسرار والأكاذيب تعذبني".

ضمها بقوة يتشمم عبق عطرها ودفئها الذي تسلل إليه -"لم يبق الكثير حبيبتي .. لقد صبرنا طويلاً ولم يبق الكثير".

رفعت عينين مغرورقتين بالدموع إليه -" ولكنني أتألم حين تتكلم بتلك الطريقة عن عائلتي يا(يوسف).. أنا أحب عائلتي بجنون.. والدي وشقيقتي".

تهدج صوتها فهمس يهدئها -" هششش لا تقولي هذا. كيف أكرههما وهما جزء منك أنت؟ كيف لك أن تفكري هكذا"؟

نظرت له بأمل -"ألا تكرههما"؟

-" بالطبع لا".

هتف بإخلاص، فابتسمت مترددة وهي تتمرغ في دفئ حضنه هامسة -"أتمنى حقاً يا(يوسف)، فأنا لن أتحمل كراهية تمتد لفترة أخرى من عمرنا، ولن أتحمل المزيد من الأسرار".

تنهد يضمها بقوة أكبر.. هو أيضاً لا يحتمل المزيد من الأسرار.. لم يعد يطيقها.. والمسير الذي بدأه اليوم لن ينتهي سوى بانكشافها كلها..

(١١)

في الصباح التـالي توجه (يوسف) لمكتبه بخطوات سريعة. عليه أن يتصل بها ويعرف ماذا حدث وما الذي قرره والدها. فتح مكتبه بقوة ليتوقف باندهاش وهو يرى والده يجلس خلف مكتبه، وحالما رآه هب واقفاً يصيح بانفعال
-"(يوسف).. تعال يا بنـي.. هناك أمر مهم لأخبرك به ".
أخذ (يوسف) نفساً طويلاً ورسم على وجهه ابتسامة هادئة وهو يقترب ليجلس مقابلاً لأبيه -" صباح الخير لك أيضا أبي".
ضحك والده ليهتز جسده الضخم كله وهو يلوح بيده بلا اهتمام -"أخبرني الآن.. هل سمعت أية أخبار عن (الناهل)"؟
عقد (يوسف) حاجبيه ودمدم -"ليس بعد يا أبي".
-" ذلك الوغد".
همس أباه بحقد قبل أن يرفع إليه عينين حاقدتين -"نحن لسنـا بحاجة إليه، فقد وجدت طريقة أخرى للفوز بالصفقـة".
قبض (يوسف) على يديه بقوة وصمت ووالده يقهقه -" كيف بالله عليك لم نفكر بالأمر؟ فكرنا بكل الحلول ونسينا المنطقية

منها".

ومال بجسده عبر المكتب وهو يهمس بخفوت وكأنما يقول سراً حربياً -"سنأخذ قرضاً من المصرف".

اجتاح (يوسف) الارتياح لوهلة وأسرع يقول -"مستحيل أن نجد مصرفاً يقبل بقرضٍ بمثل هذه الضخامة.. إنه حل غير معقول".

-" ليس إن كنت صهر رئيس مجلس إدارة أكبر مصرف في المدينة".

قالها والده بابتسامة عريضة ليشحب وجه (يوسف) وتلجمه المفاجأة ووالده يُخرج من ملف أمامه صورة ملونة لفتاة في منتصف العشرينات جميلة ورقيقة وهو يواصل -" فاطمة الماس.. ابنة راجي الماس، رئيس مجلس إدارة المصرف المركزي.. في الثانية والعشرين وتدرس في كلية الآداب. جميلة ومثقفة. رأيتها تحوم حولك في حفل رأس السنة الذي أقامه والدها في منزله قبل شهور، ووالدتها كانت تلمح لوالدتك منذ ذلك اليوم.. ما قولك"؟

قالها والده بجذل.. بينما أراد هو أن يصرخ ويهدد ويتوعد.

ليس هو من يتزوج بتلك الطريقة الرخيصة. ليس هو من يأخذ شريكة لحياته بهذه الطريقة المقززة.. لا يستطيع على الإطلاق.. فهو بهذه الطريقة يخطط للزواج أمام الجميع، ولكن من الفتاة الخطأ.

شعر بعرقه يتصبب وهو ينهض ويدور حول المكتب يفكر بحل لهذه المعضلة التي حاصره بها والده.. تباً.. كان اليوم بالذات ينوي مفاتحة أبيه بالأمر، بنفس الطريقة ولكنه سبقه.. تباً تباً. مسد جبينه بتوتر، وفك أزرار قميصه العلوية وأرخى ربطة عنقه وهو يسمع والده يهتف بنفاذ صبر -" (يوسف).. لا يحتاج الأمر لكل هذا التفكير بني".

تنهد (يوسف) وعقله يعمل بسرعة الصاروخ قبل أن تلمع عيناه بقوة وينظر لأبيه.. كان هو الوحيد الذي يعرفه حق المعرفة_ والده العنيد_ بطريقة لم يكن أحد ليعرفها قط. كان يُقامر ويعرف هذا، ولكنه السبيل الوحيد كي يستطيع الحصول على حبيبته معه للأبد دون منغصات.. عليه أن يقامر..

-"إنها فكرة رائعة أبي".

قالها بمكر وهو يقترب من أبيه ويأخذ منه الصورة متأملاً الفتاة ورفع عينيه لأبيه -"إنها حقاً فكرة رائعة".

ضحك والده ملء شدقيه والتقط الهاتف يقول بشماتة -"سأتصل بمكتب (الناهل) وأصرخ بوجهه بأن العرض لاغٍ نهائياً".

توترت عينا (يوسف) في حين حافظ على باقي هدوءه وهو يغمغم -"-افعل أبي.. افعل واشف غليلك".

بالفعل بدأ والده الاتصال بسكرتيرته لتحول له الرقم حين قال (يوسف) بهدوء وشرود متعمدين -" ياللحظ .. لو كانت الابنة الوحيدة"؟

نظر له والده باستغراب فلوح (يوسف) بيده -" تذكرت أن للألماس ابن، وهو من سيرث كل أموال والده وإدارة المجلس بعده".

-"وماذا يعني هذا؟ ستكون نسيبه على أي حال".

-"نعم بالتأكيد، ولكن لن يكون الأمر بالمثل".

هز والده كتفيه قائلاً -"وماذا بيدنا أن نفعل"؟

-"لا شيء".

قالها (يوسف) بهدوء، في حين انتظر والده التحويل بصبر ليسرع بالقول ـ"ماذا سيكون شعورك أبي لو حصلت على ثروة (الناهل) بيديك"؟

عقد والده حاجبيه وهتف ـ"كنت أتمنى، ولكنه مستحيل.. ذلك الوغد".

ضحك (يوسف) وسارع بلهفة ـ"نعم مستحيل.. فقط لو فكرنا قبلاً بهذا الحل، ربما كنا نقدر على اخذ كل ما نريد منه وبرضاه".

عقد والده حاجبيه للحظة قبل أن يُغلق السماعة بقوة تحت نظرات (يوسف) المترقبة بتوتر ليبتلع ريقه بارتياح ووالده يسأله بخشونة وقد استطاع لفت انتباهه ـ"ما ذا تعني بني"؟

ـ" لا.. لا . إنها فكرة مجنونة يا أبي".

قالها باستهتار وقلبه يخفق بجنون، ولكن والده تصرف تماماً كما يرجو واقترب منه يهتف بعصبية ـ" (يوسف) لا تُثر أعصابي ببرودك هذا.. أخبرني الآن".

ابتسم (يوسف) بخبث واقترب من أبيه ـ"كنت أفكر بالحصول على ثروة (الناهل).. السيطرة الكلية على الأعمال وضمها

كلها إلينا".

-"وكيف هذا"؟

تساءل أباه بحيرة فجلس (يوسف) خلف مكتبه وهو يأخذ نفساً طويلاً يحاول أن يهدئ من خفقات قلبه المتوثبة -" تعلم بالطبع أن ل (الناهل) ابنتين.. وليس له أية أولاد صبية".

اتسعت عينا والده بصمت في حين واصل هو يبطئ -" أي ممن سيتزوج الابنتين سيسيطر مع أولاده على الثروة أبي".

-"أتريد الزواج بإحدى ابنتيه"؟

تساءل والده مبهوتاً، فجف حلق (يوسف) وهو يتخيل انفلات أعصاب والده وعناده لو فكر بالرفض. حاول امتصاص الغضب الذي يلوح في عينيه ودفعه باتجاه أخر -"انه أمر مستحيل أليس كذلك؟ انس الأمر أبي، فلا أظنه يوافق من الأساس".

قالها مشيحاً بيده ورأى الغضب يزداد في عيني أبيه -"فليخسأ. من يكون هو ليرفض ابني أنا.. (يوسف الجاسر) بجلالة قدره؟ أيحلم ليزوج ابنته رجل مثلك؟ عليه أن يسجد شكراً لله إن حدث".

توترت عينا (يوسف) وهو يشعر بأنه دفع بأعصاب والده بزيادة، ولكنه كاد يصرخ بفرح جنوني حين لانت ملامحه وهو يواصل ـ"سوف تتزوج ابنته رغماً عن أنفه، وحينها سيحمل كل أحفاد ذلك العجوز الخرف اسمي أنا، وسينتصر (نصر الجاسر) على ذلك الوغد من جديد".

ومضى يقهقه بصورة هستيرية وهو يندفع نحو (يوسف) ويغمره بذراعيه ـ"أنت داهية يا بني. داهية بحق. انس أمر القرض، لاتهمني الصفقة الملعونة الآن بقدر اهتمامي بثروة صديقي اللدود".

وفرك كفيه بجشع أمام عيني (يوسف) المذهولة، والذي لم يتوقع ردة الفعل القوية هذه، ويكاد يُخفي سعادته بصعوبة.

ـ"أخبرني متى سيرد لك قراره، حتى نضرب على الحديد وهو ساخن".

ـ"لا أعرف".

قالها بتردد ليرن هاتف مكتبه فجأة، وتبلغه سكرتيرته بأنه اتصال من مجموعة شركات (الناهل)..

*****

(١٢)

انتقـت ثيابها بحرص الليـلة.. كانت الوحيدة التي تعرف سر الزيارة، وتعرف السبب الذي حير جميع أفراد أسرتها بعد أن طلب (نصر الجاسر) وولده إنهاء الأمور المتعلقة بالشراكة في بيتهم الليلة بعد موافقة والدها بصعوبة. تنهدت بحالمية وهي تمشط شعرها، لقد صلت طويلاً حتى تأتي هذه الليلة التي سيخطبها فيها زوجها. توقفت للحظات تكاد تضحك من سخرية الموقف.. يخطبها زوجها!!

ابتسمت ومضت تصفف شعرها باهتمام، حين سمعت خطوات خلفها لتجد شقيقتها تنظر لها مبتسمة.. بخبث

-" تبدين جميلة للغاية الليلة".

احمرت وجنتاها ونهضت تكمل ارتداء ثيابها وهي تدمدم بالشكر، في حين بادرتها أختها -"ما سر الزيارة في ظنك"؟

-" وما أدراني"؟

همست مشيحة بوجهها فلم تر نظرة شقيقتها الماكرة، وحين وقفت أمامها رأتها تنظر لها رافعة حاجبيها فهمست بتوتر -" لم لا ننزل الآن.. سنتأخر وسيأتي الضيوف بأي وقت".

هزت شقيقتها كتفيها ومضت معها للأسفل...
حين دخل ووالده ووالدته إلى فيللا (الناهل) كان يشعر بمغص يمزق أمعاءه، كطفل يذهب للمدرسة للمرة الأولى. إحساس لم يواجهه قط من قبل، لا يشعر بالارتياح أبداً، ولا يعرف لماذا؟
استقبلهم (الناهل) بترحيب بارد وقادهم إلى الصالون حيث كانت زوجته وابنتيه..
ابتسم وهو يراها متألقة بثوب بلون الفيروز، وسرح عقله للحظات بمنظرها بثوبها الأبيض كما حلم بها منذ زمن...
كانت الأمسية مشحونة بالتوتر، بالذات بين الكبيرين.. والده ووالدها، وان التزم والدها بالصمت معظم الوقت. وكأنما كانت الأمسية لتصفية القلوب قبل الدخول بالموضوع الفعلي.
وبعد عشاء هادئ، تكلم والده -"والآن سيد (ناهل) لم لا نتابع أنا وأنت في مكان خاص"؟
توتر (يوسف) ونظر لأبيه بحدة. أراد أن يكون معه، يعرف انفعال والده ولن يقبل أن يفسد أموره، لذا تدخل بهدوء -"نعم سيد (ناهل) سيكون من الأفضل لو تابعنا نقاشنا أنا وأنت

ووالدي وحدنا لبعض الوقت".

نقل (الناهل) بصره بينهما وهو يشعر بالتوتر، منذ أخبروه برغبتهما في زيارة منزله وهو لا يشعر بالاطمئنان. لذا وبكل هدوء قال مسترخياً-"لم لا نتحدث هنا؟ الشراكة بيننا ستتم بشأن المشروع البريطاني وفريق المحامين سيلتقي في الغد، ولا أظن أن هناك شيء أخر لنناقشه. وأي شيء أخر بإمكانكما طرحه هنا، فأنا لا أخفي شيئاً عن ابنتيّ، فهما من تديران العمل فعلياً".

نظر (يوسف) لوالده بتوتر ورأى كيف بدأ الاحمرار يغزو وجهه دليل غضبه الوشيك، في حين تبادلت (ياسمين) و(هند) النظرات المتوترة، وصمتت الأمهات بترقب..

-"حسناً (ناهل) اسمعني".

قالها (نصر) بتوتر وهو بالكاد يسيطر على أعصابه أمام برود عدوه اللدود وأضاف -"أنا وولدي فكرنا كثيراً، وقد وصلنا لأن عداوتنا هذه استمرت لوقت طويل دون فائدة لأحد منا، وحان وقت إنهاءها".

لم يعلق (الناهل) بل ظل ينظر ل(نصر) بحذر والأخر ينظر له

بحدة قبل أن يتنحنح (يوسف) ويقول -"اسمعني عماه.. ستفتح علينا الشراكة الجديدة أبواباً كثيرة ونحن لا نريد سوى أن نتمم هذه الشراكة بصورة جيدة، بل نعمقها بشكل أقوى".

عقد (الناهل) حاجبيه وقد بدأت الصورة تتضح له وهو يسأل بخشونة -"ما الذي تعنيه بالضبط"؟

نظر (يوسف) لوالده الذي هز له رأسه بغيظ فعاد ينظر ل(الناهل) وهو يشعر بريقه يجف -"ما اعنيه هو أنني أريد أن تصبح الشراكة عائلية. ما أعنيه هو نسبك عماه. أنا أطلب يد ابنتك للزواج".

تفجر الصمت حينها... جهة مترقبة ومتوترة، والأخرى مصدومة ولا تكاد تنطق..

خفق قلبها بقوة وهي ترى حبيبها يواجه والدها بضعف لم تتوقعه منه قط. ابتلعت ريقها وهي تراقب ردة فعل والدها الذي نهض من مقعده بذهول -"ما الذي تقوله"؟

نهض (يوسف) ليقف أمامه بانفعال -"ما سمعتني أقوله للتو يا عماه.. أنا أطلب يد ابنتك للزواج، ابنتك الكبرى".

نظر إليه (الناهل) بغضب غير من ملامحه، عصبيته القوية طفحت على صفحة وجهه وبات وكأن النار ستتفجر من أذنيه..

-"كيف تجرؤ"؟

اتسعت عينا (يوسف) بصدمة و(الناهل) يهدر بجنون -"أنا أزوج ابنتي لرجل مثلك؟ أنا أسلمها بيدي لعدوي؟ لماذا؟ أتظنني قد جننت"؟

-"اسمعني أنا..".

-"أنا أزوجها لرجل ماكر متلاعب وخبيث؟! أنت كوالدك تماماً".

صرخ والدها بانفعال فحاول (يوسف) التبرير لولا أن قاطعه بصوت هادر-"اخرج من منزلي في الحال. اخرج أنت وعائلتك ولا تقترب من ابنتي. أتفهم"؟

تصاعد غضب (يوسف) حينها، تصاعد حتى بات لا يقدر على السيطرة عليه فصرخ بعنف -"اسمعني يا رجل. ماذا لديك ضدي؟ كيف ترفض دون حتى أن تسألها"؟

اتسعت عينا (الناهل) بذهول واقترب من (يوسف) يمسك

تلابيبه بقوة -"اخرج من بيتي في الحال.. لا تعد ولا تقترب من ابنتي مهما حدث. أنت مرفوض يا ابن الجاسر، أنت ووالدك وصفقتك المشؤومة. مرفوضون نهائياً".

تخلص (يوسف) من قبضة الرجل وكاد يصرخ مجدداً لولا أن تدخل والده صارخاً -" فلتذهب أنت وبناتك إلى أسفل الجحيم. لم نعد نرغب حتى بالشراكة المأفونة هذه فما بالك بالنسب"؟

التفت والدها لوالده وبدءا بالصياح بصورة عنيف، ووقفت هي تنظر لهم بذهول..

جسدها تسمر بفعل رد والدها القاسي الذي حطم أحلامها بلا رحمة.. تشعر بقلبها ممزق بوحشية ولا تجرؤ على الصراخ بالألم.. التمعت الدموع في عينيها وكادت تقع من طولها حين شعرت بشقيقتها تسندها وتهمس في أذنها -"لنخرج من هنا.. الآن".

نظرت لها بضياع فهمست لها بتصميم -"هيا بنا".

تسللتا وسط المعمعة، كانت بالكاد تستطيع الوقوف، تشعر بساقيها مزروعتين في قالب أسمنت. وقفت خارج الباب وهمست باسمه باكية -"(يوسف)".

نظرت لها أختها بذهول، قبل أن تشعر بحرارة قوية خلفها، وتسمع صوته القوي يهزها -"(هند)".

التفتتا إليه.. أراد الركض نحوها ونزعها منهم. إنها زوجته بحق الله. حالما رأى شقيقتها تجرها خلفها شعر بقلبه يُنتزع معها وسار خلفهما.. رآها تبكي بحرقة، تريد الركض نحوه لولا وقوف شقيقتها أمامها بحدة وصراخها به -"غادر الآن.. أتريد افتعال فضيحة"؟

نظر لشقيقتها بانفعال.. غضب.. حريق يشتعل به. وجد في عينيها تصميم قوي وهي تضيف -"لا تزد الأمر سوءاً وارحل أنت وعائلتك.. سنفكر بحل ما لاحقاً".

نقل بصره بين الأختين قبل أن تغيب عينيه في عيني (هند) الغارقتين بالدموع.. كانت مذعورة، يرى هذا في وجهها وارتجافة جسدها الواضحة. كم رغب بأخذها بين ذراعيه والتخفيف من خوفها.. كم رغب ببث بعضاً من قوته إليها ولو لمرة واحدة..

-"ستكون (هند) بخير.. ولكن عليك أن ترحل الآن".

همست (ياسمين) بنفاذ صبر، تكاد تصرخ من غيظها واقفة

هنا بين العاشقين كالحمقاء. حينها سمعا الجلبة ترافق خروج والده ووالدته من الصالون فسارعت (هند) بالركض بعيداً، لتلحقها أختها بسرعة في حين استطاع (يوسف) بصعوبة أن يتمالك نفسه ويرافق أسرته الغاضبة للخارج...

*****

(١٣)

لم تتوقف عن البكاء دقيقة واحدة..

تأملتها (ياسمين) بصمت، ولم توقفها. كانت تعرف أنها تُخرج شحنات ما بداخلها وتعرف أنها بحاجة للبكاء، ولكن حان وقت التفكير الآن. قاربت الساعة الثانية بعد منتصف الليل وهي لم تتوقف للحظة واحدة.. اقتربت منها وتمددت إلى جوارها هامسة لها بحنان -"توقفي الآن، سيكون كل شيء على ما يرام حبيبتي".

استمرت (هند) تنشج بألم.. لا تصدق ما حدث، حلمها تحطم، كل شيء انتهى!! كيف لهم أن يقتلوها هكذا؟ كيف لهم أن يمزقوا فرحتها بكل تلك القسوة؟؟!!

-"(هند) عليك أن تهدأي.. يجب أن نفكر ملياً".

نظرت لشقيقتها بأسى وصاحت مخنوقة بصوت بُح من كثرة البكاء -"سأموت إن أبعدوني عنه يا(ياسمين)، لن أتحمل الابتعاد عن (يوسف).. أرجوك ساعديني".

تنهدت (ياسمين) بقلق وضمت شقيقتها إليها وهي تمسد لها ظهرها.. لن تنكر ذهولها الصاعق مما حدث

صحيح أنها كانت تشك.. وكيف لا و(هند) شقيقتها الوحيدة؟ كانت تدرك وتوقن أنها تُخفي شيئاً في أعماقها، تُخفي سراً لا تعرف لم تخفيه عنها هي حتى.. منذ شهور و(هند) مختلفة.. منطوية وكتومة.. شاردة معظم الوقت.. حزينة وبنفس الوقت ويا للغرابة.. تشع عيناها بالسعادة!!

نظرت لها وهمست -"أخبريني عنكما".

اعتدلت (هند) في جلوسها وخفضت عينيها وقد تضرجت وجنتيها بدماء الخجل، لم تعد تقوى على إخفاء سرها عن توأم روحها.. لذا همست بصوت رقيق -"أحبــه".

ابتسمت (ياسمين) فاندفعت (هند) تحكي بصوت خفيض -"التقينا في عيد الربيع السنة الماضية، أتذكرين يوم ذهبت وحدي إلى المزاد العلني في ساحة المدينة، وذهبتم أنتم إلى مزرعة عمي وحيد"؟

-"أذكر.. هل التقيته هناك"؟

شجعتها (ياسمين) فأكملت (هند) بابتسامة خطفت بؤس عينيها واستبدلته بشعاع من الحب -"كنا نتنافس على سجاد قديم من أيام العثمانيين. كنت غاضبة للغاية لأنه يرفع السعر

بطريقة لا تطاق".

احتلت النظرة الحالمة ملامحها وهي تشرد في الذكرى التي شكلت منعطفاً خطيراً في حياتها المملة نسبياً....

كان صباحاً ربيعياً مشرقاً، وقد انطلقت عائلتها لمزرعة عمها لقضاء اليوم كاملاً وتعود في المساء، وهي خططت جدياً للحاق بهم، ولكن بعد أن تلحق بالمزاد العلني الذي يقام في أحد قصور الأمراء العثمانيين السابقين.. تهوى الأثريات منذ زمن، وأصبحت وجهاً مألوفاً في كل مزاد علني..

وصلت للقصر وتركت سيارتها مسرعة فقد تأخرت. حين وصلت كان المزاد قد بدأ وتوالت القطع.. تأسفت على لوحة تمثل ميناء المدينة كانت لتشكل هدية رائعة لوالدها في عيد ميلاده القادم، ولكنها هزت كتفيها ومضت تتأمل القطع المعروضة حتى جاء ذلك السجاد الرائع وتخيلته يزين جدار غرفتها.. ابتسمت وبدأت المزايدة بحماس ومرح، حتى تدخل هو..

-"سبعون ألفا"..

هدر الصوت بقوة جعلت جميع الأنظار تلتفت إليه. ضاقت

حدقتاها وهي تتأمل الرجل الطويل بالحاجبين المعقودين بقوة.. لم تره من قبل، ومن نظرات الجميع الحائرة إليه عرفت أنهم مثلها..

رفعت رأسها ورفعت يدها معلنة المزايدة بخمسة آلاف إضافية، وتنتظر له بتحدٍ.. رأت ابتسامة سخرية على شفتيه وسمعت صوته يصدح ـ"مائة ألف".

شهقت وهي تنظر له بحدة، وفعل الجميع مثلها.. "مغرور وغبي".. فكرت بحنق ورفعت يدها تزيد السعر بعشرة آلاف، لتقابلها ابتسامته الساخرة ويرفع صوته بالمزايدة بخمسين ألفا.

اسود وجهها من الحقد وكادت تطاوع شيطانها وتزايد مقررة أن تحصل على السجادة بأي ثمن وان وصلت للمليون، ولكنها عادت وفكرت بهدوء. ذلك الرجل الطائش لن يتوقف الا إذا أخذ ما يريد أو إذا تسبب لها بخسارة فادحة.. لطالما كانت متأنية وعاقلة في قراراتها ولن يبدأ هذا الآن بكسر قاعدتها، وكم كانت مخطئة.

لذا تراجعت عن المزايدة وصمتت بحكمة وهي تراه ينجح

بشراء السجادة بما يفوق ثمنها الحقيقي بعشرات الآلاف. كانت صفقة غبية وخسر رغم ربحه الظاهر.. خرجت من المزاد ذلك اليوم خالية الوفاض، تغلي بالحنق بسبب ذلك الرجل الغريب.. زفرت بضيق وهي تتجه لسيارتها حين سمعت صوته مجددا -"لم أتوقع استسلامك بتلك السهولة".

توقفت بذهول والتفت إليه.. جف حلقها وتوترت نظراتها خلف زجاج نظارتها القاتمة وهي تتأمله عن قرب. ملامحه الرجولية الفذة لم تكتف بهز مشاعرها فقط، بل بعثرتها بقوة في كل مكان كزلزال تسونامي متفجر..

-"ماذا تريد"؟

تساءلت بخشونة فابتسم ليضربها الزلزال الأخر بلا رحمة وهو يمد لها بلفافة كبيرة نسبياً هامساً -"تفضلي".

نظرت للفافة بشك -"ما هذا"؟

-"سجادك".

-"أنا لم أشتره".

-"أنا فعلت".

قالها ببساطة فارتجفت وهي تحيط جسدها بذراعيها -"ولماذا

تقدمه لي إذا""؟

-"لأنني اشتريته من أجلك".

اتسعت عينيها بذهول وهو يقترب منها يقول بوضوح بلا مقدمات -"اسمعيني جيداً آنستي.. أنا لم أتِ هنا الا لأنني أعرف جيداً بقدومك، ولم أزايد على هذه الخرقة القديمة الا لأعطيك إياها".

نظرت له بذهول متزايد.. ماذا يقول؟؟ أتى من أجلها؟؟

-"لقد رأيتك قبلاً عدة مرات في مزادات مختلفة، وكنت واثقاً من قدومك اليوم".

قالها بحنان وابتسامته تحتل وجهه..

-"لماذا""؟

تساءلت بحيرة، فأجابها ببساطة -"لأتعرف إليك".

وقبل أن تعترض كان يمد لها يده ويحمل اللفافة بيده الأخرى

-"(يوسف).. (يوسف الجاسر).

تأملت يده بحيرة لا تعرف هل تسلمه يدها أم تمدها لتصفعه!!

تسمرت تنظر لعينيه لعدة لحظات، واجتاحها ذلك البركان مجدداً، قبل أن تستسلم بضعف وتعطيه كفها ليحتويه بعجرفة

مسيطرة، ولا يفلته قط.

لم تعرف ما الذي حدث، وكيف سلمته عقلها بلا حول ولا قوة..

ما تعرفه هو أنها في ذلك اليوم لم تذهب قط لمزرعة عمها، بل قضته كله برفقته.. ذهبا للغداء، وبعدها تنزها مشياً في كل مكان.. كانا يتحدثان بلا توقف.. كان صريحاً.. وكانت مذهولة..

رآها يوماً قبل بضعة أسابيع ولم تفارق ذهنه قط، وهو اعتاد على الحصول على كل ما يريد، ولذا قرر الحصول عليها.

كان مسلياً.. وجودها إلى جواره يرغمها على الشعور كأنثى.. تجتاحها مشاعر لم تعرفها قط من قبله...

.....

عادت من ذكرياتها على صوت (ياسمين) تهمس -"ألم تنتبهي لاسمه يا(هند)؟ ألم تعرفي وتدركي من يكون، ومن هو والده"؟

هزت رأسها تبكي بعنف -"لا أعرف.. كنت في عالم آخر. كنت شغوفة به منذ اليوم الأول ولم أنتبه أبداً، حتى قال هو لي".

أغمضت عينيها بألم وهمست ـ"كدت أموت وهو يخبرني أن والدينا لا يمكن أن يقبلا بالعلاقة بيننا، ليس الآن على الأقل".

مسدت (ياسمين) على رأسها وهمست ـ"لابد وأن هناك حل".

سألتها (هند) ـ"لماذا لا تبدين متفاجئة"؟

مطت (ياسمين) شفتيها وقالت بحنكة ـ"توقعت شيئاً كهذا منذ طلب هو ووالده أن يكون اللقاء منزلياً. لم أتوقعه بهذا الشكل بالطبع ولكنني شعرت بوجود شيء ما بينكما".

ـ"كيف"؟

تساءلت (هند) باهتمام فضحكت (ياسمين) بشقاوة ـ"لا تظنينني حمقاء.. أنت متغيرة منذ مدة طويلة، وكنت اعرف بوجود رجل ما بحياتك ولكنني كنت مستغربة من إخفاءك الأمر عني.. ثم جاء الرجل المغوار إلى المكتب".

اقتربت منها تقول بمكر ـ"رأيت نظراتك المختلسة إليه، ثم إنك طلبت قهوته دون حتى أن تسأليه كيف يشربها وكأنك تعرفين طلبه قبلاً".

احمرت وجنتا (هند) وهمست ـ"رباه.. كدت أفسد كل

شيء".

ضحكت (ياسمين) -" لا تقلقي.. لا احد ينتبه لمثل هذه الأشياء سواي.. أنا فقط".

ابتسمت (هند) -"عليك أن تساعديني.. (ياسمين) عليك أن تقنعي أبي".

-"وماذا لو لم يقتنع (هند)؟ تعرفين أبي".

قالتها (ياسمين) بقلة حيلة فاتسعت عينا (هند) بذعر -"لا.. لا ..يجب أن يوافق على زواجنا بأسرع وقت.. لا يجب أن نتأخر (ياسمين)".

عقدت (ياسمين) حاجبيها بحدة وصاحت بعصبية وقد سقط قلبها بين قدميها -"ماذا تعنين؟ لماذا كل هذا الخوف"؟

اتسعت عينا (هند) وبدأت شفتاها بالارتعاش وهي تنظر لشقيقتها التي اتسعت عينيها بادراك، وسمرتها الصدمة للحظات و(هند) تحاول السيطرة على شهقاتها وهي تغمغم -"أنا ا...أنا حامل".

*****

(١٤)

مرت ثلاثة أيام منذ تلك الزيارة المأساوية... ثلاثة أيام وهي لا تجيب على اتصالاته، ولا تأتي لتراه.

جلس بتوتر أمام التلفاز في شقتهما.. اليوم أتصل بها مراراً، وكعادتها في الآونة الأخيرة فهي لا تجيب. لذا أرسل لها رسالة أن تأتي لشقته وإلا فانه سيأتي لأخذها من منزلها رغم انف أبيها ولن يوقفه أحد.

نظر لساعته الثمينة.. بقى ثلث ساعة فقط. زفر بضيق ونهض يجوب شقته.. ماذا يفعل؟ باستطاعته أخذها إن أراد فهي زوجته رسمياً بحق الله، ولكن.. ماذا بعد؟ كيف ستواجه حبيبته نظرات المجتمع حولها بعد أن يظهر ما فعلاه؟

أغمض عينيه بقهر.. كيف سولت له نفسه أن يفعل بها هذا؟ يجعلها في موقف لا تُحسد عليه بسبب تسرعه وتلهفه عليها.. كان عليه أن يصبر، كان عليه أن يوافقها على تخوفها وتوسلها له أن يصبر، ولكنه لم يفعل. لقد أرغمها فعلياً على الزواج تلك الليلة.. يتذكر ما حدث وكأنه البارحة. كانت تبكي وتتوسل منه أن ينتظر. صرخ بوجهها -"ننتظر

ماذا؟ معجزة من السماء أن تحنن قلب والدك ووالدي""؟
اقترب يهزها بقوة من ذراعها ـ" أنا لن أنتظر شيئاً يا(هند).
إذا كنتِ تحبينني كما أحبك لن تنتظري أنت أيضاً".
تلفتت حولها بذعر، فقد كانا على شاطئ مهجور نسبياً.. كانت مطمئنة معه، رغم خوفها منه في هذه اللحظة.. كان يائساً وكانت أشد منه يأساً.
اقترب يحيط وجهها بين كفيها هامساً ـ"تزوجيني .. تزوجيني يا حبيبتي".
فكيف لها أن ترفض؟
فكر بمرارة .. لقد كان زواجاً سريعاً في منطقة بعيدة عن مدينتهما بعقد موثق وشهادة اثنين من أصدقاءه.. كانت فرحته لا توصف وهو يأخذها للمرة الأولى بين ذراعيه.. زوجته.. حبيبته.. ولكن ما الفائدة؟
فكر بقهر.. هاهو يكاد يحطم حياتها بسبب قلة صبره ونزواته.. لو عرف أحد قد يقتلونها. شعر بالذعر وتخيل ما قد يفعله والدها بها.. يا الله رحماك..
نظر لساعته مجدداً.. تجاوزت الوقت. شعر بالغضب يجتاحه،

فالتقط سترته من على الكرسي ومضى نحو الباب وهو يقسم أن يأخذها الآن مهما كانت العواقب، ليتوقف بحدة وهو يسمع المفتاح يدور في الباب. تسارعت دقات قلبه بقوة وهو يرى قدها النحيل يتهادى نحوه، وراعته ملامح وجهها الشاحبة وعينيها الواسعتين المحمرتين بأثر واضح للدموع..

-"حبيبتي".

ناداها بخشونة، وأسرع يتلقفها بين ذراعيه زارعاً جسدها الضئيل البارد في دفء وقوة ذراعيه.

غابت كلياً في حضنه، كطفلة صغيرة في حضن جبل. شهقت بالبكاء وهي تقترب أكثر.. كم اشتاقت لذراعيه ودفئه وعطر أنفاسه بالقرب منها.. اشتاقت لقوة ضربات قلبه، ومشاعره الفياضة وإحساسه العالي بها. تكورت في حضنه حتى نسيت من معها...

-"هيه أنتما.. توقفا للحظة".

انتفض (يوسف) حينها ملتفتاً لباب الشقة حيث وقفت (ياسمين)، محمرة الوجه مرتبكة العينين، وغاضبة لأقصى حد..

-"ماذا تفعل هذه هنا"؟

تساءل بحدة وهو ينظر لزوجته الصامتة بخجل من نظرات شقيقتها اللائمة.

-"جئت أساعدكما لحل المصيبة التي أوقعت شقيقتي بها".

صرخت (ياسمين) بحدة وهي تتنازل عن خجلها لقوتها وتنظر ل(يوسف) بحنق وقد استحوذ على شقيقتها كلياً بين ذراعيه -"عليك شرح الكثير أيها السيد".

ارتسمت السخرية في عينيه قبل أن ينظر ل(هند) ويداعب وجنتها بإصبعه بحنان -"هل أنت بخير"؟

هزت رأسها أن لا، فزفر بضيق وهمس لها متجاهلاً تلك التي تتميز غيظا -"لا تقلقي حبيبتي، سأحل كل شيء. لن أسمح لأحد أن يفرق بيننا".

تعلقت عينا (هند) الغارقتين بالدموع بعينيه الحنونتين وهمست بأمل -"حقاً"؟

ابتسم بحنان دافق وقلبه يخفق بجنون لعينيها -"بالتأكيد.. ثقي بي".

-"احم احم ..نحن هنا".

صاحت (ياسمين) بحنق، فابتعدت (هند) عنه بحرج وهي تمسح دموعها -"أنا آسفة (ياسمين).. تفضلي بالدخول".

مط (يوسف) شفتيه بضيق في حين تجاوزته تلك ال(ياسمين) بعجرفة واتخذت مكانها في الصالة الأنيقة وهي تهتف -"أنت السبب بكل ما حدث، والآن علينا أن نفكر بحل للمشكلة قبل أن..".

-"(ياسمين)..".

اندفعت (هند) تقاطعها بسرعة وحين نظرت لها كانت ترجوها ألا تخبره بحملها بهذه الطريقة. رفعت (ياسمين) عينيها لشقيقتها بتحدٍ ولكن نظرة التوسل في عينيها جعلتها تغير الموضوع وتهمس بحنق -"قبل أن يكتشف والدي ويقتل (هند) لفعلتها".

-"لن يقدر احد على المساس ب(هند) وأنا حي أرزق".

هدر (يوسف) بقوة وهو يواجه شقيقة زوجته الصغرى المتسلطة. رأى نظرة السخرية في عينيها فصاح بها -"لا تتوقعي أن أذل لك أو أن أنحني لمعرفتك سرنا آنسة (ياسمين). أستطيع أن آخذ زوجتي الآن معي وأطير بها إلى

حيث لن يمسها أحدكم بسوء، ولكنني لن افعل هذا لسبب واحد.. وهو (هند)".

التفت حينها لزوجته المتسمرة بمكانها وأضاف -"هي متعلقة بعائلتها بشدة ولن أسامح نفسي على حرمانها منكم".

-"وماذا تنوي أن تفعل"؟

تساءلت (ياسمين) بصوت متحشرج وقد فاجأتها القوة في صوته وإحساسها بأنه فعلاً قادر على فعل ما يقول..

تنهد (يوسف) وجلس أمامها يمد يده لزوجته التي جلست إلى جواره -"لا أعرف.. لقد خططت لموضوع الشراكة، وركزت فيه كل قوتي. لم أتصور لوهلة واحدة أن يرفض أباكما، ولا اعرف سبب عناده الشديد".

-"كله بسبب ما حدث في الماضي (يوسف)".

همست (هند) بضعف وهي تتشبث بكفه التي قبضت على يدها بقوة وهو يهمس -"معك حق.. كله بسبب الماضي".

-"هل تعرف ما حدث"؟

تساءلت (ياسمين) فهز رأسه -"كلا، كان ذلك قبل عشرين عاماً. وقتها كنت في المدرسة الداخلية، ولا اعرف ما حدث".

-"علينا أن نعرف.. ربما عليك سؤال والدك".
اقترحت (ياسمين) فهز رأسه موافقاً -"سأفعل".
نهضت (ياسمين) حينها -"إذاً سننتظر الأخبار منك، فنحن لا نجرؤ على سؤال والدنا عما حدث. إنه في عالم من الغضب والعصبية منذ ما حدث.. هيا بنا (هند)".
نظرت (هند) لشقيقتها بضراعة و(يوسف) يهتف بقوة -"بإمكانك العودة لمنزلك آنسة (ياسمين).. (هند) ستبقى".
نظرت له بحدة -"وماذا سأقول لوالدي"؟
-"(ياسمين)".
توسلتها (هند) فزفرت بضيق وأشاحت عنهما تقول بحدة -"حسناً.. حسناً.. سأتصرف".
وبكل سرعة غادرت..
ابتسم (يوسف) حينها والتفت لزوجته القلقة وهمس بشوق وهو يغمرها بين ذراعيه -"أخيراً رحلت".
ضحكت (هند) لتعبيره الصادق، لكنها لم تجرؤ على قول المثل، رغم كونه يتفجر من أعماقها..

*****

(١٥)

كان اللقاء بزوج شقيقتها منهكاً لها، فهي لم تعتد أن تكون في حضرة عاشقين كما حدث الليلة. تنهدت مبتسمة لا تصدق فرحة شقيقتها حين عادت بوقت متأخر، بعد أن كذبت هي على والديها قائلة إن (هند) يتبقى لبعض الوقت مع صديقة قريبة منهما. كانت تبدو سعيدة، مثلما كانت هي منذ زمن. نفضت عنها الذكرى واستلقت على فراشها تغالب الأسى بالنوم، كما اعتادت.

في المساء التالي كان اللقاء بين ثلاثتهما في مطعم في الضواحي..

كان (يوسف) يقول بتوتر -"لم أنجح سوى بأخذ القليل من المعلومات عما حدث. والدي غاضب للغاية وكاد يقتلني اليوم.. لم أرغب بزيادة شكوكه".

-"ماذا عرفت حبيبي"؟

تساءلت (هند) فأجابها -"ما قاله لي يتعلق بمزرعة ما.. لا أعرف لمن ولكنه قال إن ما حدث كان في مزرعة في الضاحية الجنوبية كانوا معتادين على قضاء الكثير من

الأوقات بـها".

عقدت (ياسمين) حاجبيها ومضت تفكر حين لمعت عينيها وهي تـهتف ـ"أتذكرين تلك المزرعة (هند)؟ تلك التي كان بها الكثير من الخيول".

ـ"يا الـهي نـعم".

صاحت (هند) قبل أن تلتفت إلى(يوسف) تـهتف بحماس ـ"كنا نذهب إليها ونحن صغار، وفجأة توقفنا. وحين كنا نذكرها لوالدي كان يصيح بنا ويرغمنا على عدم ذكرها مجدداً".

ـ"أين تقع"؟

ـ"لا اعرف".

ردت (هند) والتفتت لأختها التي هزت كتفيها بدورها ـ"ولا أنا.. كنا صغاراً للغاية. ما أذكره هو أنـها هائلة الحجم وكان بـها العديد من الخيول".

عقد (يوسف) حاجبيه يفكر بطريقة يعرف بـها أي شيء عن المزرعة المقصودة ودمدم ـ"بإمكاني أن أحاول مع والدتي".

ـ"ونـحن كذلك".

هتفت الأختان بصوت واحد متحمس فنظر لـهما بحدة جعلتـهما

تغرقان بالضحك لتتوقفا بسرعة حين صاح بهما ـ"توقفا.. نحن في مكان عام".

زمت (ياسمين) شفتيها بحنق مستنكر في حين خفضت (هند) عينيها بخجل فهز رأسه بيأس وهمهم ـ"وكأنني أربي أطفالاً"؟

شهقت (ياسمين) بحنق وضحكت (هند) بنعومة قبل أن ينظر هو في ساعة يده ويهمس لها ـ"يجب أن أذهب الآن، فطائرتي ستنطلق بعد ساعة واحدة".

أومأت له فابتسم وضغط على كفها مودعاً ـ"ستعودين للمنزل مباشرة"؟

ـ"كلا..سنذهب للسوق قليلاً".

ـ"حسناً لا تتأخري".

ـ"وأنت هل ستتأخر"؟

ـ"كلا يا حبيبتي، إنها رحلة عمل سريعة وسأعود خلال يومين فقط بإذن الله.. إلى اللقاء".

ودعته بقلب واجف وسمعت شقيقتها تسألها بتوتر ـ"ألم تخبريه بعد"؟

هزت رأسها نفياً قائلة ـ"علمت البارحة انه مسافر، ولم أشأ أن أقلقه أكثر. لا أعرف ما قد يفعله حينما يعلم بأمر الطفل".

ـ"انه متهور وعنيد".

صرحت (ياسمين) فابتسمت (هند) بحب ـ"ولهذا أحبه من كل قلبي يا(ياسمين)".

تنهدت (ياسمين) ونهضت تجر شقيقتها ـ"هيا أيتها العاشقة، فإذا بدأتِ الحديث عنه لن تتوقفي".

ابتسمت (هند) ومضت مع أختها.. كانتا تجولان في السوق حين جرتها (ياسمين) بسرعة نحو احد المحلات ضاحكة لتتسمر (هند) بحرج وهي تنظر حولها لملابس الأطفال وحاجياتهم المختلفة، ورأت شقيقتها ترفع ثوباً صغيراً أحمر اللون يناسب بالكاد رضيعة وهي تهتف ـ"يا ربي سيكون هذا رائعاً عليها".

ضحكت (هند) وسارعت لشقيقتها التي بدأت بلفت الأنظار إليهما وهتفت ـ"ربما كان صبياً، ولن يسمح لك (يوسف) أبداً بإلباسه كهذه الأشياء".

أخرجت لها (ياسمين) لسانها بغيظ وبدأتا تجولان في المحل

بمرح قبل أن تغادرا دون أن تشتريا شيئاً كيلا تكتشفهما والدتهما التي اعتادت تفتيش حقائب السوق حال عودتهما محملتين بها..

حين وصلتا كانت أمهما على غير عادتها في المنزل تجلس أمام التلفاز وتشرب القهوة. اندفعتا إليه تقبلانها بمرح قبل أن تفتح (ياسمين) معها الموضوع -"اماه.. أتذكرين المزرعة التي كنا نقضي فيها الصيف حين كنا أطفالاً"؟

ضاقت عينا أمها -"أية مزرعة"؟

-"مزرعة الخيول اماه".

ذكّرتها (ياسمين) ليتجهم وجه والدتها وتسرح في ذكرى بعيدة وهي تهمس -"نعم.. أذكرها".

تبادلت الفتاتان النظرات الفرحة وأسرعت (ياسمين) تسألها -"لما لم نعد نذهب إلى هناك أمي"؟

تنهدت أمها وهمست -"انه ماضٍ وانتهى. لماذا تذكرتِها"؟

-"لا شيء أمي، فقط خطرت على بالي. لماذا لا نذهب إليها"؟

أعادت السؤال بإصرار فلم تجبها أمها ونهضت تقول بحدة -"قلت لك إنها من الماضي.. كفي عن الإلحاح".

زمت (ياسمين) شفتيها في حين أمسكت (هند) بكف والدتها وأجلستها برفق وهي تهمس -"(ياسمين) لا تقصد شيئاً يا أماه. لقد تذكرناها اليوم فحسب، وتذكرنا كم كنا سعداء فيها.. ولا نذكر لماذا لم نعد نذهب إليها".

زفرت أمها بضيق وهتفت -"انسيا الموضوع.. نهائياً".

-"حسناً أماه .. لن نذكره.

تذمرت (ياسمين) في حين تساءلت (هند) بهدوء -"هل تذكرين اسمها أمي""؟

سخرت أمها بصوت ناعم -"وكيف أنسى؟ مزرعة (الناصري)".

ثم تأففت وصرخت -"توقفا عن الحديث في هذا الموضوع، وإلا سأخبر أباكما".

تبادلت (ياسمين) وشقيقتها النظرات وصرحت (ياسمين) بابتسامة -"لا تقلقي اماه.. لن نذكرها مجدداً.. ثقي بي".

نظرت لها (هند) بفرح وقلبها يخبرها أن معرفة اسم المزرعة خطوة هامة، وسرعان ما سيتكشف الكثير وتزداد فرصتهما في معرفة السر الكبير خلف أسرتيهما والخلاف بينهما.

(١٦)

في اليوم التالي، توقفت سيارة الجيب بصوت صاخب على الأرض الترابية وبعد هدوء عاصفة الأتربة ظهرت السيارة الأنيقة بلونها الأزرق الغامق ونافذة السائق تنزل ببطء لتكشف عن وجه صاحبتها الجميل وشعرها الكستنائي يتناثر حولها.

لم تستطع (ياسمين) النوم قبل أن تعرف عنوان المزرعة، وباستخدام الانترنت استطاعت استخراج العنوان القابع في عمق الريف، وبصعوبة _بعد رحلة طويلة استغرقت ما يقارب الأربع ساعات بالسيارة_ وصلت أخيرا، ولكنها لم تتوقع قط ما رأت.

خرجت من السيارة بنظرات مصعوقة تتلفت حولها.. خراب!! اتسعت عيناها وهي ترى كل ما حولها مجرد أطلال..مساحات شاسعة من الخراب والمباني المهجورة.. ماذا حدث هنا؟ فكرت بذعر، وتلفتت حولها علها تجد من يشرح لها ماذا حدث للمزرعة التي تتذكرها منذ طفولتها... مساحات خضراء شاسعة ومبانٍ جميلة متناسقة.

وجدت لوحة قديمة شبه محطمة بالكاد تقف على عامودها المتهالك، تحمل اسم المزرعة.. "مزرعة (الناصري)".

ابتلعت ريقها بذهول وتقدمت خطوات إلى الخرائب، كان المكان مهجوراً.

بلعت ريقها وتقدمت أكثر نحو أحد المباني، يبدو أكثر مدنية مما حوله.. تلفتت حولها ولم تجد سوى مكتب خشبي قديم وخزانة حديدية صدئة وعدة رفوف مربعة خلف المكتب، يشبه صالات الاستقبال في الفنادق القديمة. همست بذعر

-"هل من أحد هنا"؟

تردد صوتها حولها بصدى مثير للقشعريرة، قبل أن تفكر بعقلانية وتهتف بنفسها -"(ياسمين) يا مجنونة.. اخرجي في الحال".

استدارت بسرعة، ولكن قبل أن تصل للباب توقف أمامها ظل ضخم جعلها تطلق صرخة عميقة وهي تتسمر مكانها وتنظر للعملاق الواقف أمامها.

-"توقفي عن الصراخ".

هزها الصوت بخشونته، فصمتت بذعر وهي تتأمل الرجل

الذي تقدم نحوها بجثته الضخمة وشعره المنكوش على رأسه، التراب يغطيه من رأسه لأخمص قدميه، ملابسه قديمة مهترئة، يحمل بيده معولاً أو شيئاً شبيه به.. قذر.. مشعث.. فكرت بمرارة ‹ماذا لو فعل بي شيئاً؟ لو اقترب مني، هاجمني، قتلني، أو أسوأ›؟

فكرت بجنون، وهتفت باكية رغماً عنها -" أرجوك.. أرجوك لا تقترب مني".

اتسعت عينا الرجل الغريب وصرخ بها باستنكار -"وهل فعلت"؟

نظرت له بجزع فصاح مجددا -"ماذا تفعلين هنا"؟

ابتلعت ريقها ونظرت نحو باب الخروج بعيون جائعة، فتابع نظراتها للحظة قبل أن يشير لها -"اخرجي إن أردت، لن أمنعك".

وكأنما أعطاها الإذن بالطيران، سارعت بالركض بعيداً. ركضت حتى وصلت سيارتها. استندت عليها وتنفست بقوة، لا تتصور كيف أفلتت منه. سمعت خطوات ثقيلة خلفها، فالتفتت برعب ورأته يقترب. تأملته بفضول امتزج بالذعر،

فقد كان شكله مقبولاً أكثر تحت ضوء الشمس..

-"هل تشعرين بالأمان الآن"؟

هتف بقوة فصمتت. ملامحه السمراء زادتها الشمس حدة وصرامة، شعره لم يكن مشعثاً كما بدا في المرة الأولى بل طويلاً أكثر مما ينبغي، وملابسه بدت أكثر مدنية وان كانت أكثر قذارة بكل تلك الأتربة التي التصقت بها. همست بخفوت

-"أنـا آسفة على تطفلـي".

تأملها للحظات طويلة قبل أن ينقل وزنه بين ساقيه بتوتر ويهتف بها بخشونة -"من تريدين"؟

ابتلعت ريقها بصعوبة وهمست -"أبحث عن أحد مالكي المزرعة".

عقد حاجبيه الكثين وسأل -"أي مزرعة"؟

-"مزرعة (الناصري)".

-"لا يوجد أحد منهم".

تجمدت ملامح وجهه وهو يقولها، مما جعلها تسأل بفضول -"أين هم"؟، ثم أجالت عينيها بما حولها متابعة -"وما الذي حدث للمزرعة"؟

تنهد الرجل بنفاذ صبر وهتف ـ"لماذا تسألين كل هذه الأسئلة"؟

احتقن وجهها وهتفت متلعثمة ـ"لقد.. لقد اعتدت وعائلتي القدوم هنا باستمرار حين كنا صغاراً، وقد رغبت أن أرى المكان مجدداً".

عقد الرجل حاجبيه بقوة وهتف ـ" لم تعد المزرعة تستقبل زواراً منذ سنوات يا آنسة كما ترين، ولذا من الأفضل أن تغادري في الحال".

قالها واستدار بعيداً. تأملته بذهول للحظة قبل أن تستجمع شجاعتها وتركض خلفه تناديه بتوتر ـ"أيها السيد.. توقف لحظة من فضلك".

كانت تركض خلفه مسرعة، وكاد توقفه المفاجئ يسبب ارتطامها به بشدة، مما جعلها تشهق وهو ينظر لها بعينين ثائرتين ـ" ما الذي تريدينه"؟

حاولت السيطرة على خوفها وتمتمت ـ"ج..جئت كي أعرف عن عائلة (الناصري) أي شيء. أرجوك إنها مسألة هامة".

تنفس الرجل بقوة ثم صرخ بحنق ـ"قلت لك لم يبق أحد من

تلك العائلة.. لم يبق أحد ليفيدك بشيء".

-"أي أحد.. أرجوك".

توسلته باستماتة وهي تحاول التماسك من أجل (هند) فقط. تأملها لبعض الوقت قبل أن يتجهم وجهه ويهتف بنفاذ صبر

-"ها أنـا ذا..تكلمي".

اتسعت عيناها بذهول، وجابت وجهه بحثاً عن لمحة مازحة أو سخرية، لكنها لم تجد سوى صلابة عنيدة وقوة لم تقدر على الوقوف قبالها لفترة أطول قبل أن يخرج صوتها ضعيفاً

-"أنت"؟

مستحيل..

فكرت وهي تتأمله، لا تزال تتذكر رغم السنوات كيف كانت المزرعة ومدى ثراء أصحابها. لا يعقل أن يكون هذا الرجل البسيط واحداً منهم.. لا يُعقل..

-"هل أنت متأكد"؟

تساءلت متشككة، فنظر لها بسخرية ولمعت عيناه وهو يهمس -"أتريدين رؤية هويتي لتصدقي"؟

كادت تطالبه بالهوية فعلاً ولكنها ابتلعت لسانها وهمست -"ما

الذي حدث هنا؟ لماذا كل هذا الخراب"؟

عقد حاجبيه الكثين وهمهم بضيق مكتوم ـ"الموضوع لا يخصك بشيء.. انه ماضٍ وانتهى".

تلفتت حولها بدهشة وحيرة. لماذا يصر الجميع على هذه الكلمات عن الماضي؟ تعرف أنها لن تخرج منه بكلمة، تعرف أولئك الرجال مثله، أولئك الذين لا يجدون للمرأة في حياته سوى دورين اثنين: على الفراش في الليل، وفي المطبخ أثناء النهار.. فكرت بقرف.

أما هو فقد حار في أمرها، وعليه أن يتخلص منها.. مهما حدث عليه بالخلاص منها..

ـ"متى تنوين الرحيل يا آنسة"؟

قالها بنفاذ صبر وتوتر. نظرت له باحتقار كما فهم، ولكنها لم ترحل بل سألته ـ"أحتاج لأحد أخر من عائلتك.. والدك.. جدك.. أي شخص أكبر سناً".

تملكه الفضول ليُزيح كل مشاعر أخرى وهتف مستفهماً ـ"ماذا تريدين منهم"؟

ـ"لا شأن لك".

هتفت بحنق فصرخ بها ـ"إذا لم تخبريني فلن تجدي أحداً يدلك على ما تريدين".

رفعت رأسها بتحدٍ وصرخت به ـ"قلت إنني لن أتحدث الا لمن هو أكبر منك".

تصاعد غضبه ونسي فضوله أمام عنادها ـ"إذاً فمن الأفضل أن ترحلي، فلن تجدي ضالتك هنا".

ـ"ربما يجب علي فعلاً".

صرخت بحنق وقد أثار ضيقها بصلابة رأيه، ودون انتظار شيء منه استدارت إلى سيارتها وقادتها بعيداً بسرعة.

تأملها للحظات بدهشة، فرغم كل خشونته لم يتوقع ذهابها، ولكنه لم يحاول منعها. فآخر ما يريده هو ظهور أياً من كان ليعبث في الماضي ويخرجه إلى أرض الواقع من جديـد..!!

*****

(١٧)

-"ما فعلته جنون مطبق".

صرخ (يوسف) بحنق بوجه (ياسمين) التي زمت شفتيها وأشاحت بوجهها عنه، فيما استمر هو بتقريعها على طيشها لذهابها وحدها إلى تلك المزرعة المهجورة.

-"ماذا لو أصابك مكروه؟ ماذا سنفعل وكيف سنعرف بأمرك وأنت لم تكلفي خاطرك إبلاغ أي أحد حتى (هند)"؟

صرخ بنفاذ صبر، فالتفتت له تقول بحدة -"أنت لست ولياً لأمري يا(يوسف)، وبصراحة لا شأن لك بأمر ذهابي".

-"مجنونة".

صرخ بغيظ وهب واقفاً في حين تدخلت (هند) الصامتة بصرامة -"(يوسف) محق يا(ياسمين). كان من الأفضل أن تخبريني على الأقل. كدت أموت قلقاً عليك ذلك اليوم حين تأخرتِ في الرجوع للمنزل".

تنهدت (ياسمين) -"أخبرتك بأن الإطار ثُقب وأنني اضطررت للعودة للمزرعة حتى يصلحوه".

-"وما الذي حدث هناك بالضبط"؟

نظرت له ببرود -"لم يحدث شيء. ذلك الرجل القميء لم يخبرني بشيء".

زفر (يوسف) وحك رأسه بقوة قبل أن يهمس -"سأذهب بنفسي في الصباح. علينا إنهاء الأمر الآن".

أمسكت (هند) بكفه وهمست -"اعتني بنفسك حبيبي".

ابتسم لها بحنو -"لا تقلقي.. لن يحدث مكروه".

تنهدت وهي تشعر بأن السر الذي تخفيه عائلتها متعلق بصورة كبيرة بذلك الرجل الذي التقته (ياسمين)، وإلا ما كان ليطردها بذلك الشكل الغريب. وتحول قلقها على شقيقتها المتهورة إلى زوجها الأكثر تهوراً..

في اليوم التالي توجه (يوسف) إلى المزرعة مسترشداً بتعليمات (ياسمين). لم تعجبه المزرعة الخربة منذ وطأتها قدماه. عقد حاجبيه بتوتر وسار في أرجائها قبل أن يلتقي بصبي صغير يلعب في الخرائب، وبعد استجواب قصير عرف أن الرجل المالك للمزرعة يسكن في منزل قريب دله عليه بنفسه بعد أن أعطاه بعض النقود..

حالما وصل للمنزل وجد أنه رغم حالة المنزل القديمة

المتهالكة، تبدو مفروشاته التي تظهر من خلال النوافذ المصقولة بغاية الأناقة. طرق الباب بقبضته بقوة، وانتظر لعدة دقائق دون رد..

عاود الطرق مجدداً هذه المرة بقوة أكبر ولكن دون فائدة، حينها قرر التوجه لخلف المنزل، ليصل إلى إسطبل قديم متهالك. تقدم بحذر وهو يسمع صهيل الخيل، كان الإسطبل يحتوي العديد من الكبائن ولكن لم يكن يسكنها سوى حصان واحد، ابيض ناصع صهل بقوة حال رؤيته ل(يوسف) الذي تلفت حوله بحيرة..

-"من تكون"؟

التفت بسرعة للخلف حيث رأى الرجل الذي لابد قابلته (ياسمين) بملابسه الرثة وشعره المنكوش..

تأمله للحظة قبل أن يسأله بحذر -"-أنت مالك مزرعة (الناصري)"؟

عقد الرجل حاجبيه وهو يومئ برأسه، فتقدم إليه (يوسف) مصافحاً -"(يوسف الجاسر).

صافحه الرجل متشككاً وعرف بنفسه بهدوء حذر -"(فهد

الناصري).. ماذا تريد أيها السيد"؟

-"أريد التحدث معك بشأن المزرعة. هل يمكننا الحديث في مكان ما"؟

عقد (فهد) حاجبيه وتأمل ملابس (يوسف) الأنيقة لوهلة قبل أن ترتسم سخريته في عينيه ويشير له أن يتقدمه. كان يشعر بمجيء آخرين من نفس عينة تلك المرأة، وقد صدق إحساسه. تملكه الحقد واشتعلت بداخله النار وكتمها بقوة كي لا تظهر على صفحة وجهه، ورسم بدلاً عنها بروده الذي يجيده أفضل من غيره.

أخذ (يوسف) إلى مكتب قديم وجلس خلفه مشيراً له بالجلوس، وهنا بدأ (يوسف) -"جاءتك قبل أيام فتاة تبحث عن أحد أفراد عائلتك".

تصنع (فهد) الغباء ورمى بنظرات حائرة ل(يوسف) الذي واصل بحدة -"(ياسمين الناهل) جاءت هنا وتحدثت معك".

-"لم أعرف اسمها ولكن امرأة جاءت لي بالفعل كما تقول. هل لي أن أعرف سبب مجيئك أنت الأخر"؟

قالها بحزم وضيق جعل (يوسف) يسيطر على حنقه بصعوبة

وهو يقبض يديه بقوة من استفزاز الرجل المحير ـ"اسمعني أيها السيد.. إننا نبحث عن سبب عداء قديم، ولن يستسلم أي منا قبل أن نكشف ستاره، وهذا العداء يعود إلى هذه المزرعة.. سر يتعلق بها ولا يعرفه أحد".

ضاقت عينا (فهد) الواسعتين، وتكونت غصة مؤلمة في حلقه. اشتدت قبضتاه على مسند الكرسي وهمس بشحوب ـ"عداء؟ بين من ومن"؟

ـ"عائلتي (الناهل) و(الجاسر).. عائلتان اعتادتا القدوم لهذه المزرعة منذ سنوات، وحدث شيء ما بينهما توقفتا من بعده عن العودة إلى هنا، وانفصم الحبل القوي الذي كان بينهما".

ازداد البرود في عيني الفهد وبدت كلماته تقطر سماً وحقداً وهو يتمتم ـ" لم ترحل هاتان العائلتان من المزرعة".

عقد (يوسف) حاجبيه بشدة وتساءل ـ"ماذا تعني بأنهما لم ترحلا من هنا"؟

اسود وجه الفهد حتى بات كالفحم المشتعل بالحقد وصرخ ب(يوسف) ـ"ما أعنيه أن هذين الرجلين وعائلتيهما طُردا من مزرعة (الناصري).. طُردا شر طردة".

اتسعت عينا (يوسف) بذهول. لم يتوقع هذا ولو في أكثر كوابيسه سواداً.. طُردا؟ ولكن لمـاذا؟

-"لمــاذا"؟

تساءل بحيرة شديدة، فهتف (فهد) بحدة -"لأنـهما شيطانان.. مجرد شيطانان حقودان".

-"ما الذي تعنيه"؟

صاح (يوسف) وقد بدأ صبره ينفذ، فأجابه الفهد بسخرية -"ألم تر ما حولك؟.. ألم تر كل ذلك الخراب؟ هذه المزرعة كانت من أجمل المزارع في العاصمة، كانت الدرة وسط كل ما حولها، ولكن أكلهما الحقد والضغينة، فاتفقا على إحراقها. هما تسببا بكل هذا الخراب، وتتساءل عن سبب طردهما"؟

اتسعت عينا (يوسف) بذهول، وشعر بغصة تملؤه.. والده؟ هل يعقل أن يفعل والده هذا؟

مستحيل.. فكر بذهول.. مستحيل أن يفعل أباه هذا.. مستحيل. نظر للفهد الذي وقف بطوله الضخم وقد رفع يده مشيراً للباب خلف (يوسف) -"وكما طُردا من المزرعة لفعلتهما، ها أنذا أطردك أيضا. اخرج ولا تفكر يوماً بالعودة ونبش الماضي".

(١٨)

غادر (يوسف) المزرعة بذهن مشوش. لا يعرف كيف يصارح الفتاتين بما سمعه وعرفه، وهو نفسه لا يكاد يصدقه. تنهد بقوة وقاد سيارته بسرعة اكبر كي يلحق بموعده مع زوجته التي تنتظره منذ الصباح .

حين دخل إلى شقته كان الهدوء يسيطر عليها بشكل كامل والبرودة أيضا. تقدم إلى غرفته ليجدها هناك مستلقية على الفراش غارقة في النوم بسلام. ابتسم بحنان وتقدم ليجلس إلى جوارها، شعرها ينسدل بكثافة حول وجهها الرقيق الذي لامس جانبه برقة وفكر بحنان.. ’كم تبدو متعبة‘!

اقترب ليقبل وجنتها بحنو فتململت بين ذراعيه وهي تناديه بدلال ليبتسم -"مساء الخير يا جميلتي".

ابتسمت باتساع وغاصت بين ذراعيه تكتم أنفاسها محتفظة بتلك الرائحة التي تسللت إلى أعماقها لتحيطها هالته الرجولية القوية تغمرها بالقوة والأمان، ابتعدت عنه قليلاً تتأمل عينيه الصافيتين لتهاجمها تلك الأفكار، تلك المشاعر التي حاولت إجهاضها منذ فترة.. هاجمها خوف من

المستقبل، فكتم أنفاسها وجعلها تنتفض بين ذراعيه وتتملص من قوته لاهثة لتهرب بعيداً.

اقترب منها بسرعة يحيط كتفيها بذراعه -"حبيبتي ماذا بك"؟

رفعت له عينين مرتعبتين مرتجفتين، تمسكت بكفه وهمست -"خائفة".

انتفض قلبه من أجلها، فضمها بقوة -"لا تخافي وأنا إلى جوارك، سأحميك بحياتي".

أحاطت ظهره بذراعيها وهي تدرك أنها يجب أن تخبره، إلى متى ستخفي عنه؟

-"(يوسف)".

رفع ذقنها إليه بأصبعه ونظر لعينيها هامساً -"بأمرك حبيبتي".

ارتجفت نظرتها وهمست بتعثر حروفاً لم تملك السيطرة عليها -"(يوسف)..انا.. أنا ح..حامل".

رأت عيناه تتسعان لوهلة في صدمة من لم يتوقع ما سمع قط. شعرت حينها بقلبها يقع بين ساقيها وقد بدا منظره غريباً بالدهشة العارمة المرتسمة على صفحة وجهه، قبل أن تنفرج

شفتاه وعيناه عن ابتسامة كبرى، وفرحة عُظمى ..

-"حامل"؟

شهق بانفعال، فأومأت بوجل ليقفز واقفاً أمامها وهو يصرخ بانفعال -"أنت متأكدة؟ أأنت حامل فعلاً يا(هند)"؟

هزت رأسها فقط، فلم تكن تقو على شيء أخر، ليفاجئها بضحكة عميقة. اتسعت عيناها بدهشة قبل أن ينقض عليها ليغيبها بين ذراعيه صارخاً كالأطفال -"حامل.. أنت حامل".

لم تعرف أتضحك أم تبكي. امتزج شعورها الطاغي بالفرح بألمها من قوة ذراعيه، فهمست متألمة ضاحكة -"(يوسف).. ستخنقني".

فك ذراعيه من حولها في الحال ونظرة مجنونة بالفرح تتراقص في عينيه -"قولي الحقيقة.. أأنت حامل حقاً"؟

ابتسمت بخجل وخفضت رأسها -"أعدت الفحوص مرتين.. أنا حامل في شهرين يا(يوسف)".

-"منذ متى تعرفين"؟

سألها بتوتر، فأجابت بتردد -"أسبوعان".

-"لماذا لم تخبريني قبلاً"؟

صرخ بحنق، فردت بسرعة ـ"كنت خائفة".

ـ"مني"؟

صرخ باستنكار فأسرعت تنفض عنها التهمة ـ" كلا، وإنما مما سيأتي.. ما سيحدث الآن (يوسف)".

خفض رأسه ومرر كفيه في خصلات شعره، فسارعت لتمسك كفيه بين يديها وهمست بضراعة ـ"يجب أن نجد حلاً (يوسف). لو عرف والدي... سيموت".

رفع لها عينين حازمتين. لا يمكن أن يسمح بأي أذى يصيبها. لا يمكن أن يسمح بأن ينظر لها أي مخلوق بنظرة تسيء إليها. وان ظل زواجهما سراً كما هو، فستكون نهايتها.

اقترب يحيط وجهها بين يديه وهمس بتصميم ـ"لا تقلقي حبيبتي.. الليلة.. سأنهي كل شيء وكل الأسرار الليلة".

اتسعت عيناها بذعر سرعان ما اختفي بين طيات ضلوعه وهو يضمها بقوة ـ"لن أسمح لأحد بأن يفرق بيننا. لن اسمح لأحد بأن يقف في وجه سعادتنا أنا وأنت.. وطفلنا يا(هند)".

ضمته إليها بقوة هي الأخرى، ولسانها لا يكف عن التبتل لله أن يرحم ضعفها، وييسر لها الأمور.. كل الأمور.

(١٩)

تلك الليلة كانت مظلمة، والقمر بالكاد يظهر خلف السحب. تنهد وهو ينظر لأبيه الذي جلس على الشرفة الأمامية يدخن أرجيلته بهدوء كعادته كل ليلة، ويشاهد مباراة كرة قدم على شاشة بلازمية ضخمة. تنحنح ليلفت انتباهه وتقدم ليجلس إلى جواره فأشار والده للشاشة باهتمام -"هذا الهجوم لابد أن يسفر عن هدف. مستحيل أن تنتهي المباراة بهذه الصورة".

زفر (يوسف) بضيق، فما لديه الآن أهم. لذا تقدم وأطفأ الشاشة متجاهلاً صرخة والده المستنكرة وجلس أمامه وصرامته على وجهه وهو يقول -"علينا أن نتحدث".

-"أعد تشغيل التلفاز واغرب عن وجهي الآن".

صرخ والده بغلظة، فمط (يوسف) شفتيه وكتف ذراعيه وفي عينيه حزم الدنيا لتهتز عينا والده، ويأخذ نفساً عميقاً من أرجيلته ويقول -"ماذا تريد يا ولد"؟

-"أريد أن أعرف ما حدث في مزرعة (الناصري)"؟

جحظت عينا والده، وبات وجهه أسوداً من الاحتقان بالدخان،وسعل بقوة كادت أن تخرج معها عيناه من

محجريهما، ليقفز له (يوسف) ويضرب على ظهره بخفة..

-"ما الذي.. ما الذي تعرفه عن هذه المزرعة"؟

صاح به والده وهو يتخلص منه ليهتف (يوسف) -"أعرف أنك و(الناهل) سبب دمارها وخرابها".

-"هراء".

صرخ والده بقوة وهو ينهض من مكانه ويلف حول الشرفة كأسد غاضب -"(الناهل).. (الناهل) هو السبب.. هو أحرقها.. هو أحرقها بغبائه وتسبب بخرابها".

نهض (يوسف) خلفه وصاح بيأس -"أبي ..لا تفعل هذا.. أرجوك أخبرني عن الحقيقة كاملة".

-"ما أخبرك به هو الحقيقة".

صرخ أبوه بحدة ثم واصل بانفعال -"أنا و(الناهل) و(شهاب الناصري) كنا أقرب من إخوة.. كنا أصدقاء منذ الطفولة، ولذا كنا لا نفترق، وكنا نقضي ليالٍ صيفية عديدة في مزرعة (الناصري)، مع (شهاب) وولده وابنته".

صمت فجأة وأشاح بوجهه وكأنما يتذكر كل تلك الأيام قبل أن يهمس بمرارة -"حتى كانت تلك الليلة".

انتظر (يوسف) منه أن يكمل فلم يفعل، فحثه بتوتر ـ"ما الذي حدث أبي"؟

تنهد والده بقوة قبل أن يكمل ـ"كنا نقضي أسبوعاً هناك.. كنا أنا ووالدتك وشقيقتك (مها)، و(الناهل) وأسرته و(شهاب) وابنته. كنت أنت في المدرسة الداخلية، وولده (فهد) في المخيم العسكري. كنا نتناقش في أمور العمل والأعمال، و(الناهل) يعرض مشاركته ل(شهاب) في مزرعة الخيول، و(شهاب) لا يوافق، وأنا كنت أضحك لأنني أعرف (الناهل)، فهو لن يستسلم. وبطريقة ما جعلني أشاركه الضغط على (شهاب) كي يوافق، ولكن (شهاب) رفض نهائياً.. كان يرفض فكرة أية شراكة ويقول إن الأعمال والأموال تفسد الصداقة.. غضبنا تلك الليلة، غضبنا منه بشكل كبير وتشاجرنا وكبر الموضوع، حتى أننا غادرنا المزرعة في منتصف الليل وعدنا إلى بيوتنا..

صمت حينها، وانتظره (يوسف) بصبر..

ـ"وفي الصباح التالي..".

وتحشرج صوته ـ"سمعنا خبر حريق هائل التهمها كلها..

حتى (شهاب).. توفي هو وابنته داخل المزرعة".

أغمض (يوسف) عينيه بحرقة وهو يتخيل الرجل الذي احترق وابنته، وتخيل للحظة ما حدث بعدها..

-"جاءت الشرطة لتحقق معنا، وقد كان شجارنا مع (شهاب) ومغادرتنا المزرعة مثيراً للشبهات، خاصة أن الحريق تم بفعل فاعل".

-"هل وجهوا إليكم التهمة"؟

تساءل (يوسف) بذهول فهز والده رأسه وغمغم بأسى

-"كلا.. رغم اتهام ولده لنا صراحة بأننا السبب بعد عودته من المخيم. كان لا يزال في الحادية عشر من عمره، وكان مصاباً بصدمة كبرى لخسارته كل أسرته بضربة واحدة. كاد يموت قهراً ذلك الصبي، ولكن الشرطة برئت ساحتنا واكتفت بتقييدها ضد مجهول".

نظر له (يوسف) بدهشة وتساءل -"ولماذا هذا العداء بينك وبين (الناهل) إذا أبي"؟

عقد والده حاجبيه بقوة وصرخ بانفعال -"لأنني أعرف أن (الناهل) هو من احرقها".

اتسعت عينا (يوسف) بذهول، ووالده يواصل -"الوغد أحرق مزرعة صديقه لأنه رفض شراكته، وكاد يلصقها بي".

-"مستحيل يا أبي.. لماذا سيفعل هذا"؟

-"لأنه وغد.. وحقير".

صرخ والده بانفعال، وجسده كله يرتجف. عقد (يوسف) حاجبيه مفكراً.. هناك شيء ما.. شيء يخاف منه والده وكأنه يكتمه في أعماقه بقوة. اقترب منه وهمس -"لا يعقل أن يفعل هذا أبي.. أنت تعرفه منذ صغركما. أتعتقده قادر على هذا"؟

تشتت عينا والده بحيرة، فهمس (يوسف) -"(الناهل) لن يفعل هذا بقدرك أبي، فكما تثق أنك لم تفعلها، فهو أيضاً واثق بنفسه، ولهذا ابتعد عنك".

-"أتعني..."؟

-"نعم أبي.. (الناهل) يظن بك المثل كما تظن به. أنتما الاثنان تركتما الشيطان ينغز بينكما ويحثكما على التفكير بذنوب بعضكما وكأنها واقع. ولكن على العكس، أنتما معاً ضحية ما حدث يومها. شخص ما أراد الإيقاع بكما، شخص ما نصب الفخ وأوقعكما معاً".

نظر له والده بدهشة ـ"كيف فكرت بهذا"؟

ـ"انه واضح يا أبي.. ما الذي ستجنيانه من حرق مزرعة الرجل؟ ليس وكأنكما وارثان أو أن تأمينها سيصل إليكما".

زفر والده وعاد ليجلس ويتنشق من ارجيلته ليقترب (يوسف) منه ويهتف ـ"هذا العداء يجب أن ينتهي أبي.. يجب أن تعودا كما كنتما".

توترت يدا والده وتعرق جبينه وهو يتمتم ـ"هذا العداء تسبب به (الناهل) ويجب عليه هو أن ينهيه".

ـ"أبي".

ـ"كفى.. لا أريد أن أسمع المزيد (يوسف)".

زفر (يوسف) بضيق، وأشاح بحنق عن والده الذي عاد لأرجيلته بقوة، و(يوسف) يفكر.

يجب عليه أن يتصرف، حتى وإن اضطر أن يذهب من جديد ل(الناهل).. سيتحمل كل الذُل من أجلها.. لن يتركها.. مطلقاً.

*****

(٢٠)

دعكت (هند) كفيها بقوة، وبقيت مسمرة تنظر للباب المغلق بقلق..

-"ألا يزالان بالداخل"؟

التفتت لشقيقتها التي دخلت بسرعة وهمست -"إنهما بالداخل منذ ساعة كاملة يا(ياسمين). لا أعرف ماذا يحدث بينهما. أكاد أموت من القلق".

-"لا تقلقي.. أشعر بأن الأمر سيكون جيداً".

-"والدي كان غاضباً للغاية.. لو رأيته حين وصل (يوسف)".

-"هششش".

تقدمت (ياسمين) لتأخذها بين ذراعيها وقد بدأت عيناها تدمعان لتهمس مخنوقة -"يجب أن يقبل أبي يا(ياسمين).. سأموت إن لم يفعل".

-"سيقبل ..ثقي بي".

تنهدت (هند) ودمدمت بدعاء خافت حين سمعا صوت الباب يُفتح. التفتتا معاً لتجدا (يوسف) يقف بوجه متوتر. اتسعت عينا (هند) بذعر سرعان ما تحول إلى حيرة وهي ترى

والدها يقف إلى جوار (يوسف) ..

-"أبي"؟

تمتمت (ياسمين) متسائلة قبل أن تسمعا صوتاً أخر من الجهة الأخرى -"(ناهل)...".

التفت الجميع لمصدر الصوت، حيث وقف والد (يوسف) بتوتر، وهنا تقدم (يوسف) ليقول -"تعال يا أبي.. من الأفضل أن نتحدث في الداخل".

وأدار عينيه في وجوه الجميع متابعاً -"كلنا".

تبادلت (هند) وشقيقتها النظرات قبل أن تنظرا لوالدهما الشاحب الذي أومأ لهما بحذر ودخل إلى مكتبه، لتتبعانه يليهما (يوسف) ووالده...

خلف مكتبه جلس (الناهل) قائلاً بتوتر -"لقد قال لي (يوسف) كل شيء".

نظر له (الجاسر) بهدوء -"وهل اقتنعت"؟

عقد (الناهل) حاجبيه -"لا أعرف.. لا أعرف ماذا يجب أن اصدق.. ما حدث وقتها..".

-"ما حدث وقتها أننا عدنا معاً للمدينة، وليس لنا أي ذنب في

الحريق".

قالها (الجاسر) بحدة فنظر له (الناهل) بتوتر -"أنا أثق ببراءتي".

-"وأنا كذلك أثق ببراءتي".

-"ولكن من أحرق المزرعة بتلك الطريقة"؟

تساءل (الناهل) فهز (نصر الجاسر) رأسه وغمغم -"ذلك يبدو وكأنه سر لن نعرفه مطلقاً".

قالها (الجاسر) ليتدخل (يوسف) ويهتف بقوة -"ألا تستحق سنوات الصداقة الماضية أن تثقا ببعضكما"؟

تبادل الرجلان نظرات متوترة..

كانت (هند) تجلس على حافة كرسيها بتوتر شديد، و(ياسمين) تناظرهما بقلق في حين اقترب (يوسف) وهمس -"أنا أثق بكما، وأعرف أنكما لا يمكن أن تتسببا بفعل كهذا، ولن يكون أي منكما السبب في إيذاء الأخر مهما حدث".

-"أنا لم أشهد ضدك يا(ناهل)".

-"ولا أنا".

همس وهو يرفع له عينين حذرتين، لتنهض (ياسمين)

وتهتف بتوتر -"هل تصدقان بعضكما الآن؟ وأن ما حدث كان مجرد سوء فهم ضخم، وخسارة لصديق حطمت كثيراً مما كان بينكما"؟

-"كنت حزيناً للغاية لمصاب (شهاب)، كنت أشعر بالذنب لأنني عرضت عليه شراء المزرعة، وشعرت بذنب أكبر لأنه مات وهو غاضب مني".

قالها (الناهل) بحسرة ليتبعه (الجاسر) -"لم يكن كله خطأك.. أنا أيضاً تسببت بجزء كبير من المشكلة، ولم يمهلنا الله أن نصلح أخطائنا في الدنيا.. ولكن لا يزال الوقت مبكراً لنيأس.. أليس كذلك"؟

نهضا معاً، اقتربا من بعضيهما وهمس (الناهل) لصديقه القديم -"لم يكن علي معاقبتك على تهوري".

-"ولم يكن يجدر بي الشك ولو للحظة بصديق عمري".

تبسم (الناهل) ومد يده ليصافح صديق عمره، ليضحك الأخر ويقترب معانقاً إياه بقوة..

زفر (يوسف) بارتياح ووجد نفسه ينظر ل(هند) التي جلست تخفي وجهها بين يديها تحمد الله بعنف وجسدها كله يهتز

بقوة من فرط الفرح الذي اجتاحها، وكذلك الراحة. وهنا سمعت (ياسمين) تقول بمرح -"ممتاز .. وما دامت العلاقات الطيبة قد عادت بإمكاننا الاحتفال بعدة مناسبات ..احتفال بالجملة".

تبادل (الناهل) و(الجاسر) النظرات الباسمة قبل أن يتصافحا بقوة والأخير يقول -"سنبدأ بإنهاء الفاتحة التي بدأت قبل أكثر من ثلاثين عاماً".

عقدت (ياسمين) حاجبيها وتساءلت بفضول -"أي فاتحة"؟

ضحك والدها وغمز ل(يوسف) -"حين ولد هذا الفتى قرأ والده فاتحته على أول مولودة سأحظى بها، قبل حتى أن أتزوج".

قهقه (الجاسر) بمرح وأشار للفتاتين برأسه -"والآن سأكملها حقاً.. فقط أخبرني أيهما الكبرى لأزوجها لأبني".

تقدم (يوسف) بسرعة واللهفة في عينيه هاتفاً -"(هند) هي الكبرى أبي".

تبادل الرجلان النظرات الخبيثة قبل أن يعاودا النظر لوجهه الذي احتقن بالخجل وهو يدرك مدى لهفته ليعلق أبوه بخبث

-"يبدو أن وساطتك لم تكن مجانية، ويبدو أن وراء الأمور أمور يا صديقي".

لم تستطع (هند) البقاء وسط الهمزات واللمزات من والدها ورفيقه، لذا لملمت خجلها وتعثرت بخطوات سريعة لخارج الغرفة وهي تتمتم بعذر واهٍ ووالدها يهمس -"يبدو هذا يا رفيقي.. لم لا نكمل ما بدأناه، فلا يجوز تعليق الفاتحة أكثر من هذا".

ضحكا معاً حينها وشاركتهما (ياسمين) على استحياء في حين اندفع (يوسف) خلف زوجته، ليجدها تقف في شرفة المكتب.. اقترب منها بسرعة..

-"حبيبتي".

-"(يوسف)".

همست ترتمي بين ذراعيه فضمها ضاحكاً وقال بمكر -"ألا تخشين أن يرانا أحد"؟

رفعت له عيناي غائمتين بالدموع وهمست مخنوقة -"ليس بعد أن عرفت أنني كنت من نصيبك حتى قبل أن أولد".

ضحك يمسح دموعها بحنان -"بل أنت من نصيبي قبل أن

يُخلق الكون حبيبتي.. إنـه قدر رب العالمين، ومـهما بقي سـرنـا بيننـا فـهو منشور عنده هو".

ضاقت عيناها بألم -"لقد أخطأنـا يا(يوسـف).. زواجنـا السـري وتـعجلنا كان خطئاً جسيماً كدنا نـخسر معه الكثير، ولولا رحمـة الله تعالى لكنت الآن...".

قاطعها بحنو -"أعرف .. وأعرف أن الأمر خاطئ كلياً، ولكننـا تجاوزنــا الأمـر الآن يا(هنـد)، ومــا عــاد يبعـدنا عـن بعضـنـا شيء".

-"أحبك".

همست بلـهفة، فأغمض عينيه يرددها لـها هو الأخر حتى باتت لا تسمع سواها..

*****

(٢١)

بعد أسبوعيــن ...

كانت الزينة تمتد على طول الأعمدة المنتشرة في حديقة فيلا (الناهل)، وتمتد من الشرفات إلى الأرض بطريقة ساحرة وكأنها شلالات من نور.. وكيف لا والليلة هي زفاف ابنته الكبرى وابن صديقه العزيز..

توترت (هند) وبدأت تدور حول نفسها باضطراب أمام المرآة ووالدتها تبتسم بحنان في حين تصيح (ياسمين)ـ"توقفي عن الدوران وإلا ستصابين بالمرض".

ـ"ألا أبدو بدينة؟ هذا الثوب ضيق للغاية".

هتفت (هند) بحنق فضحكت أمها وعاتبته ـ"بنيتي أنت نحيلة كالقلم..سأذهب لتفقد فرقة الزفة".

وغادرت مسرعة لتبقى الشقيقتان معاً.. اقتربت (ياسمين) من (هند) ـ"ماذا بك يا (هند)؟ ماذا هناك"؟

ـ"متوترة يا (ياسمين).. أشعر بقلق كبير وخائفة حتى الموت".

تمتمت (هند) بخوف فضحكت (ياسمين) ـ"تتكلمين وكأنها

ليلتك الأولى معه بحق.. يا الهي (هند) أنت تحملين طفله".
اتسعت عينا (هند) وصرخت بحنق -"خذي أحد مكبرات الصوت وأعلني الأمر.. هيا افعلي".
ضحكت (ياسمين) واعتذرت -"آسفة حبيبتي ولكنه شيء مثير للأعصاب.. لا يوجد ما يستدعي التوتر".
-"بلى، بالتأكيد يوجد.. كيف سأفسر لوالدي ولادة ابن لي بعد ستة أشهر من زواجي"؟
قالتها (هند) بمرارة فأسرعت (ياسمين) -"لا تقلقي، فقد قال (يوسف) إنه سيسافر بك للخارج قرب موعد الولادة وستلدين هناك وسيقول للجميع إنه وُلد قبل الأوان، فلا تقلقي".
تنهدت (هند) ونظرت لبطنها الذي لم تبدأ علامات الحمل تظهر عليه بعد، ودعت أن تمر الأيام القادمة بخير..
وبعد ساعات من احتفال مثير للخيال وسط كل أقاربهما وأصدقائهما، كانا أخيرا وحدهما..
تأملته وهو يقترب منها بهدوء متمهل..
-"كيف أقنعت والدي بإقامة حفل زفاف في هذه المدة القصيرة"؟

سـألته بابتسـامة، فجلس إلـى جوارهـا يلامـس جانـب وجههـا
ـ"هددته بأني سأخطفك إذا رفض، وأسبب لـه فضيحة".
ضحكت ترتمـي بين ذراعيـه ليضمها بقـوة ويهمـس ـ"أحبك
يا(هند).. أحبك وتعبت من إخفاء حبك سراً كل هذه المدة".
رفعت عينيها إليه وهمست ـ"لم تعد مضطراً لإخفائـه حبيبـي..
لم نعد مضطرين لإخفاء أي شيء يخصنا".
ابتسم لعينيها وهمس ـ"أعرف، ولكن مهما قلت فلن تعبر أي
كلمات عن مدى حبي لك.. لذا قررت الاحتفاظ به بداخلي".
ابتسمت بحب وأحاطت عنقه بذراعيها هامسة ـ"تكفيني كلمـة
احبك منك، وهذه النظرة في عينيك لأعرف مدى حبك لي".
ابتسم، وتمتم بحبها بخفوت يفتتح بـه حياتهما التـي خرجت
من قمقم الأسرار.. أخيراً .. وللأبـد.

*****

النهايـة..

الكاتبة

عبير محمد قائد (بيرو)

يمنية

طبيبة

قاصة وروائية

صدر من هذه السلسلة:

١_ حقيقة حب	رباب فؤاد
٢_ ذات الوشاح الأخضر	رانيا حجاج
٣_ نصف ملاك	رباب فؤاد
٤_ حكاية سرية	عبير قائد
٥_ حارسة القصر	ميرفت البلتاجي

عزيزة مونرو عدد خاص رانيا حجاج